شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد :

اليهودية العالمية
والأمة الإسلامية
- الإسلام ، والمسلمون ، والغرب
- مهمة البعث الإسلامي ومسئوليتنا نحوه
- هل استعمر اليهود أمريكا ؟!
- حوار من أجل العقيدة
- جماعة الإخوان المسلمين
في مصر ، تاريخ ومنهاج
- العلامة الشريف السيد عبد الحيّ
ابن فخر الدين الحسني
- التراث الحضاري الإسلامي في اللغة الأردية
- إثبات وفرة الموارد
- أهمية علم الكيمياء والفيزياء
- الحديث القدسي ومدلوله الشرعي
- حقوق المرأة في الإسلام

العدد الأول
المجلد الرابع والأربعون

شعبان - رمضان ١٤١٩هـ
نوفمبر وديسمبر ١٩٩٨م

تصدرها :

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص. ب. ٩٣ لكناؤ (الهند)

المكتبة الإسلامية
خزينة الكتب
دار الطباعة

٨١٩٣
١٢٨١٤٣

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

العدد الأول
المجلد الرابع
والأربعون

شعبان المعظم
و رمضان المبارك ١٤١٩هـ
نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٨م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار ،

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧(الهند)
☆☆☆

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" التي تبدأ الآن عامها *الرابع والأربعين* ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولارا بالبريد السطحي
و
٣٦/دولارا بالبريد الجوي
☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)
☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)
☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

الافتتاحية :

☆ مهمة البعث الإسلامي ومسئوليتنا نحوه ! ٣
سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي :

☆ اليهودية العالميةوالأمة الإسلامية ٨
سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

☆ الإسلام ، والمسلمون ، والغرب ١٦
سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

☆ هل استعمر اليهود أمريكا ..؟! ١٩
الدكتور غريب جمعة

الدعوة الإسلامية :

☆ "حوار من أجل العقيدة" ٢٣
الدكتور محمد بن سعد الشويعر

☆ جماعة الإخوان المسلمين في مصر ، ٣١
تاريخ و منهاج
الدكتور محمد السيد علي بلاسي

دراسات و أبحاث :

☆ العلامة الشريف السيد عبد الحيّ
ابن فخر الدين الحسني الرائ بريلوي ٣٧
الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي

☆ التراث الحضاري الإسلامي في اللغة الأردية ٤٩
الدكتور سيد رضوان علي الندوي

☆ إثبات وفرة الموارد ٥٦
الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد

☆ أهمية علم الكيمياء والفيزياء ٦٤
فضيلة الشيخ محمد شهاب الندوي

☆☆☆

دراسات في السنة :

☆ الحديث القدسي ومدلوله الشرعي ٧٤
الأستاذ محمد شاهجهان الندوي

الفقه الإسلامي :

☆ حقوق المرأة في الإسلام ٨٢
الأستاذ رحمة الله الندوي

الى رحمة الله تعالى :

☆ أمير الشريعة فضيلة الشيخ عبد الرحمن ٩٥
☆ الطبيب الشهير الشيخ محمد إفهام الله ٩٦
☆ الطبيب البارع الأستاذ صابر رضاء ٩٧
☆ الطبيب النطاسي الكبير ٩٨
الأستاذ محمد سعيد
قلم التحرير

أخبار اجتماعية وثقافية :

☆ الأستاذ السيد ضياء الحسن الندوي
ينال جائزة تقديرية
من رئيس الجمهورية الهندية ٩٩
قلم التحرير

إصدارات جديدة :

☆ الصحافة العربية في الهند ،
نشأتها و تطورها ٩٩
بقلم : د/أيوب تاج الدين

☆ الإنسان و فطرة الله ١٠٠
بقلم : د/عبد الوهاب زاهد

☆☆☆

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

مهمة البعث الإسلامي ومسئوليتنا نحوه !

كيف لا يمتلئ القلب سروراً وابتهاجاً ولا يفيض شكراً لله تعالى ، على ذلك التوفيق الغالي الذي رافق المجلة والقائمين عليها طوال هذه المدة التي تمتد على ثلاث وأربعين سنة ، وها نحن نستقبل اليوم العام الرابع والأربعين إيذانا بافتتاح المجلد الرابع والأربعين للمجلة بمشيئة الله تعالى وتوفيقه ، ونواجه مع ذلك تحديات من كل نوع وعلى مستوى أرقى من السابق ، أمامنا الآن تحديات القمع والاعتداء الصربي على شعب كوسوفا الذي لاذ ثلاث مأة ألف شخص منه بالفرار إلى مدن وقرى خوفاً من عمليات البطش والقتل التي يمارسها الصرب ضده ، وقضية عقد السلام والأمن بين دولة فلسطين وإسرائيل ، ومشكلة تركيا مع الإسلاميين ، وحزب "الفضيلة" الإسلامي بوجه خاص ، والأزمة الإيرانية الأفغانية مع "حركة طالبان" هذا عدا الأخطار والمخاوف التي يعيشها المسلمون على أصعدة مختلفة من هدم المقدسات ، ورفض تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتمزيق الوحدة والأخوة الإسلامية ، ومحاربة التشخص الإسلامي ، والمثل الإيمانية ، واستهزاء بالسيرة النبوية ، واتهامها بما يستحيي منه البهائم فضلاً عن الإنسان والمسلم ، وإعداد جيل من المسلمين ينكر غنه الإسلام في العالم المعاصر ، ويطالب تغيير شريعته بما يتفق وطبيعة الحضارات المادية والفلسفات العلمانية الحاضرة .

هناك اليهودية العالمية التي تحشر جميع طاقاتها الإعلامية لبعثرة المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي، واستغلال خيراته وخزائنه فيما يعود بالنفع العظيم العاجل والربح الهائل إلى الفصائل اليهودية التي تسهر على مصالح اليهود، وتخدمها بكل ما يمكن من إخلاص وتضحية وتفان، والعالم كله يعرف نوايا اليهود التوسعية، وبسط نفوذهم على جميع المجتمعات والدول في كل مكان، وتركيزهم على تضييق عيش المسلمين، وخنق حريتهم الدينية، وتركم كلحم وضم، حيث لا يبقى لهم مكان لأداء مسئولياتهم الإيمانية، واستئثار الطهر والعفاف على الرذائل والفواحش، وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية بتحليل ما أحله الله وتحريم ما حرمه، فقد تكونت هناك تكتلات عالمية بمساعدة اللوبي اليهودي العالمي، وهي تسعى جاهدة وباذلة إمكانياتها كلها لتقليص ظلال الصحوة الإسلامية، وتزييف القيم الدينية والخلقية في المجتمعات الغربية، التي هي مقبلة على الإسلام، وتدخل منها أفواج في دين الله تعالى، باحثة عن ملجأ للهدوء النفسي والسعادة الحقة.

إن هذا الواقع أقلق الزعامة الغربية وبعث في نفوس قادة اليهودية العالمية خوفاً شديداً مما إذا انتشر الإسلام في الربوع الغربية، وتحول أهلها إلى مسلمين، رغم جميع التهديدات والمحاولات الكبرى التي تبذلها المعسكرات والقوى العالمية، لسدّ هذا السيل، ولذلك فإنهم التجأوا اليوم إلى وسائل سرّية وأسلحة كامنة لقمع قوة المسلمين، وتمزيق وحدتهم، فبينما كان الاستعمار الماضي يعتمد على الوسائل العسكرية والأسلحة النووية، بدأ يعتمد اليوم سلاح الغزو الفكري والثقافي، وجعل يستغل الفرص والإمكانيات في مجال تغيير العقلية وإضعاف الثقة بشريعة الإسلام، واعتبارها شريعة العهد القديم، يوم كان الإنسان يعيش البداوة والجلافة والأمية وفي عالم محدود، لم يكن له علم بالحضارة ومصالح الحياة المدنية،

وفوائد الاتساع الحضاري والمرافق الحيوية، ولكنه في هذا الكون الهائل وأمام هذه التقدمات العلمية والحضارية والرقيّ الثقافي والأدبي، وفي العصر الذي يتميز بالعلم والتقنية من كل نوع، لا يكاد يسترشد في شئونه من شريعة الإسلام، وهي لا تغنى عنه في عصر الزحف الحضاري العارم، وعلى ذلك فلم يعد للإسلام ذلك المستقبل الذي يدعيه "الأصوليون" والأميون، إنما طوي بساطه، وانقضى دوره في عالم الحضارات والعلوم والفلسفات الإنسانية والأفكار الراقية.

بمثل هذه المزاعم الواهية يريد الاستعمار الغربي أن يحتل عقول المسلمين ويخدر أذهانهم، ويقلل من قيمة الدين والحضارة الإسلامية في عيون ونفوس المثقفين الأذكياء منهم، ذلك لكي يفقد الإسلام هويته في بلدان المسلمين ومجتمعاتهم، ويعود كسقط من المتاع يُنحّى إلى زاوية، ويسود محله فكر مادي ورؤى إلحادية تفتح لهم أبواب الانتحار الفكري والديني، وتسوقهم إلى المجاهرة بالفسق والرذائل، ومكابرة الحقائق الخلقية والعقائد الإيمانية، لقد نجح الغرب في شراء شرذمة ممن يزعمون الانتماء إلى الإسلام والأسر المسلمة، ولكنهم مربون في المحاضن الغربية، والمراكز الثقافية المادية التي تعلم العداء للإسلام، وتربى على خلال الجهر بالسوء من القول، ثم استغلهم للنيل من كرامة الإسلام وخلود رسالته، وأطلقهم أبواقاً للحضارة الغربية المادية وأعداءً للحضارة الإسلامية، وما قصة الروائي الذليل المدعو بسلمان رشدي، والكاتبة المرذولة التي تدعى بتسليمه نسرين، بخافية على العالم المنصف، الذي لا تفوته معرفة مدى تسفل هؤلاء إلى هوة الذلة والصغار السحيقة، وعطف اللوبي اليهودي عليهما والانتصار لهما.

انطلاقاً من هذه العقلية الاستعمارية الحاقدة على الحضارة الإسلامية حاد الغرب عن طريقه العلمي والإبداعي في المجالات الحيوية والإنسانية،

ونسي مكانته في العلوم والصناعات التي أسدى بها إليه المسلمون ، وعلموه ما لم يكن له به علم من طرق السعادة والعزة والشرف ، وأقبل على تزييف مآثر المسلمين وتشويه تاريخهم المجيد ، و وضع جميع الطاقات والإمكانيات في هدم كيان المسلمين ونسف صروح المجد والفخار التي رفعوها على انقاض الجاهليات ، والوثنيات القديمة والحديثة ، وهو لا يلوى على شئ في الطريق الذي يجتازه بسرعة البرق ولا يرضى بالكف عن ممارسة الأعمال الإجرامية التي يتوخى بها تجميد طاقات المسلمين وتثبيط هممهم في سبيل الدعوة إلى الحضارة الإسلامية ، وتحكيم الشريعة الإسلامية في المجتمعات الإنسانية المعاصرة ، إنه لا يعتم أن يبذل جهوده الحثيثة في القمع والتهديد والإرهاب مرة ، وفي توسعة نطاق الغزو الثقافي والفكري مرة أخرى ، وهو لا يزال في طريقه نحو الإبادة العقدية والحضارية للمسلمين ، ولا يرى قادة الغرب بأساً - وهم في هذا الطريق جادون - فيما إذا أثنوا على بعض الميزات الإسلامية ، ومدحوا أناساً من التاريخ قاموا بالتضحية بالنفس والمال في سبيل بناء المستقبل اللامع لأمتهم ، وتمهيد الطريق للحصول على السمعة الطيبة للدين .

نحن اليوم على أبواب القرن الحادي والعشرين وذلك يتطلب منا الإعداء الكامل لاستقبال هذا القرن بالأسس الحضارية المتكاملة التي تكمن في رسالة الإسلام ، ودعوته إلى الجمع المتزن بين الوسائل والغايات ، وبين الروح والمادة ، إذ من المعلوم أن الغرب لم يشقَ إلا حينما أهمل هذا الجانب المهم ، واعتنى بالمادة كل اعتناء وأهمل الروح ولم يلق إليها بالاً ، إنه قرر مقياس الحضارة والعلم والثقافة في كثرة عدد أنصارها والمصفقين لها ، ولكنه أغفل أن الزيادة في عدد الأنصار و الاتباع لا تحل مشكلة و لا تأتي بثمرة إيجابية ، و لو لا أن الغرب كان مُلحاً على كثرة الإنتاج والبحث عن الوسائل ،

ولو لا حرصه على جمع المال وإدخار الكنوز دون نظر إلى إيجاد التوازن بين العقل الذكي والقلب النابض ، وبين الروح والمادة ، والانسجام بين الوسيلة والغاية ، لكان رائداً في مجال التوجيه الإنساني ، وامتلك زمام القيادة للنوع البشري على المستوى العالمي ، ولكنه أبي إلا أن يتفرد بالمادة ويهمل الروح ، رغم أن الإنسان مخلوق بالجسم و الروح ، و لا يستطيع أن يفرق بينهما ، وكلما حاول ذلك الغرب ، واجهته مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية ، و استولت عليه أزمات نفسية ، و أصبح أداة هدم وفساد ، و آلة شر ودمار ، يشير إلى هذا الواقع أحد رواد الحضارة الغربية الذي اكتوى بنارها وعاش تجاربها ، وهو الأستاذ "الكسس كارل" في كتابه : (الإنسان ذلك المجهول) :

"إننا نلاحظ أن الحضارة العصرية لم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدتها بها الإنسانية ، و أنها أخفقت في تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والاقدام ، الذي يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذي تتعثر عليه ، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك السرعة التي تقدمت بها المؤسسات التي نبعت من عقولنا ، إنها هي نقائص القادة السياسيين الفكرية والخلقية وجهلهم الذي يعرّض أمم العصر للخطر" .

ولم يعد ملجأ للإنسانية إلا الإسلام الذي هو دين الفطرة ، وهو المنهاج الذي يغطى الحياة و الكون و الإنسان ، بجميع أوضاعها و ظروفها ، وفي جميع الأزمنة و الأمكنة ، إن مهمة البعث الإسلامي لم تنته بعد ، و إنما هي الحاجة الأكيدة للعالم المعاصر ، يتولاها الدعاة و المفكرون الإسلاميون ، و هم عنها مسئولون .

﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله و هو محسن *
واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ﴾

سعيد الأعظمي

اليهودية العالمية والأمة الإسلامية

[١]

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب في تحقيق مراميها وأهدافها الكثيرة ، التي ظلت آلافاً من السنين تحلم بها ، وفي تطبيق مخططاتها الكثيرة ، التي كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس وطرائف الجنون في سهولة ويسر ، لم يكن يتخيلهما أحد ، لا العرب ولا اليهود أنفسهم .

فقامت دولة "إسرائيل" في قلب المنطقة العربية الإسلامية المقدسة ، وبقيت جاثمة على صدر العرب والمسلمين واستطاعت بنفوذ اليهود العالمي أن لا تحتفظ بكيانها فحسب ، بل لم يزدها الزمان إلا قوةً واستحكاماً ، ثم استطاعت أن تنتصر على أعظم معسكر عربي وأضخمه عدةً وعتاداً ، وأن تحطم قوته الجوية ، وأكثر خطراً من ذلك أنها أضعفت قوة إرادة الشعب ، وروح مقاومته في بضع ساعات في الخامس من حزيران ١٩٦٨م ، واستولت على القدس وعلى الضفة الغربية ، وعلى شبه جزيرة سيناء ، وأصبحت قناة السويس ، وكثير من مدن مصر الساحلية مهددة معرضة للخطر الإسرائيلي، وتوغلت في الأراضي السورية ، واستولت على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، واستطاعت أن تضرب عدة مطارات عربية في جراءة و وقاحة ، وهي الآن تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها ، وتتهدد الأماكن المقدسة في قلب الجزيرة ، ويتحدث بعض زعمائها باسترداد ما فقده آباؤهم من حصون ومستعمرات يهودية في الجزيرة العربية ، وجلوا عنها في

المد الإسلامي الأول ، بل يمنى اليهود أنفسهم بأن يصبحوا يوماً من الأيام السطوة العالمية التي تملى أوامرها ، وتفرض إرادتها على الرؤساء والوزراء ، والقادة والزعماء في العالم كله ، وتحقق الحلم البعيد الذي رآه الربيون في التلمود ، وحكماء صهيون في بروتوكالاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ وهل تحقق الصهيونية ما بقي من أحلامها ومخططاتها ؟ وهل يُترك العرب والمسلمون تحت رحمة هؤلاء الطامحين ؟ وهل يفسح لهم المجال ، ويرخى لهم الحبل ، حتى يستولوا على العالم كله ؟ ويحققوا أغراضهم وما يدينون به من فلسفات ، وأفكار ونظريات ؟ وهل يمنحون القيادة للنوع البشري ، وتتاح لهم الفرصة في توجيهه كما أتيحت لرسالات وفلسفات ، أو قوى وطاقات ، أو مدنيات وحضارات في الزمن السابق ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً ، حتى نقف وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، وما عرفنا عن خالقه ومبدعه ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وإرادته ، وسننه وقوانينه ، وأمام التاريخ البشري وما وصلت إلينا من تجاربه وحوادثه .

ولا نستطيع أن نحكم في ذلك بشئ حتى نحكم على السلالة البشرية ، ومدى صلاحيتها والطبيعة البشرية ، ونصيب الخير والشر فيها ، ونحكم على مستقبل الجيل البشري ، ومصير هذا العالم .

فإذا قررنا أن خالق هذا الكون ، الحكيم العليم ، لم يخلق هذا الكون وهذا الكوكب الذي نسكنه للفساد والدمار ، والفوضي والانحلال ، والظلم والقسوة ، والوحشية والهمجية ، والمؤامرات والدسائس ، ولم يهتم به هذا الاهتمام - الذي يتجلى في جميع مجالاته من إبداع وإتقان ، وحسن وجمال ، وترتيب وتنسيق ، ويتجلى في إرسال الرسل وإنزال الكتب حيناً بعد حين ، وإلهام المصلحين ، ونصر الصالحين الصادقين ، وإدالة الخير من الشر ، وتغليب الصلاح على الفساد جيلاً بعد جيل - إلا ليسيطر عليه عنصر ينتمي إلى بعض الأنبياء في أقدم العصور ، وتجرى في عروقه قطرات من

دمهم ، لا ترى بأدق مكبرة بيلوجية ، ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ، ولتهيمن عليه وعلى جميع طاقاته ، وذخائره وثرواته سلالة بشرية واحدة ، هي : " شعب الله المختار ، والأسرة الإلهية المقدسة" .

وإذا قررنا أن هذه السلالة البشرية الكريمة ، هي الخلية البشرية الوحيدة ، التي خصها الله بجميع الطاقات ، وبجميع المواهب ، وقد ارتكزت فيها كل صلاحية ، وكل عبقرية ، وكل إبداع ، أما الخلايا البشرية الأخرى ، التي تتكون منها النسل الإنساني الذي يملأ العالم ، فهي حثالة كحثالة الشعير ، وبراية كبراية الأقلام ، مجردة عن كل جدارة وصلاحية ، وقدرة على الإبداع والإنتاج وعن جميع المواهب والمنح .

فالعنصر اليهودي له وحده الحق في السيادة والحكم على النوع البشري ، أما سائر الناس ، فيجب أن يساقوا كما تساق قطعان البهائم الحقيرة ، وكل من عدا هؤلاء الأبناء المدللين ، والسعداء الموهوبين ، فقطع شطرنج يلعب بها الدهاة اليهود الأكرمون في قدرة ومهارة ، ويضربون بعضها ببعض ، ويغلبون بعضها على بعض ، ويهزمون بعضها أمام بعض ، وهي لا تملك من أمرنا شيئاً .

وإذا قررنا أن الطبيعة البشرية ، هي الطبيعة الشريرة ، التي تفضل التدمير على البناء ، والإفساد على الإصلاح ، وهي متشائمة دائماً ، حقود ناقمة على العالم أجمع ، ساخطة على الماضي والحاضر ، ثائرة موتورة تحمل الأحقاد القديمة والجديدة ، وتنظر إلى كل قضية وحادثة بالمنظار الأسود ، ولا ترى إلا الجانب الضعيف فيما صنع الصانعون ، وبنى البناؤون ، وخلف المخلفون ، متذمرة تضيق ذرعاً بكل شئ ، تحتقر غيرها ، وهي في الحقيقة مصابة "بمركب النقص" لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ، ولا للإنسان شرفاً ، ولا تعرف غاية أسمى من المادة ، وتحقيق الرغبات الخسيسة ، تقسو عند الانتصار ، وتجبن عند الهزيمة ، وتستخدم جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ، ولا تتورع عن أخس الأعمال ، وأفحش الظلم وأحط الأخلاق ، وأوقح نفاق .

وإذا قررنا أن العامل البناء الوحيد ، القوي المؤثر ، في بناء المدنيات ، وصنع التاريخ ، وإسعاد البشرية ، وسياسة الشعوب والأمم هو الدهاء الخبيث ، والمهارة الإجرامية ، واللباقة الهادمة المدمرة ، والإفساد بين الناس ، والقضاء على الضمائر ، وفك نظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحلال ، وإحداث الأزمات بعد الأزمات ، وأن الوسيلة الأقوى التي سيطرت على مصائر الأمم ، وأعظم حوادث العالم ، وغيرت مجرى التاريخ ، هي المؤامرات الخفية ، وأن أكبر قوة يعتمد عليها ، هي الغدر ، ونكران الجميل ، واللؤم والخسة ، وأن الخلق المحبب إلى الله الضامن للغلبة والانتصار ، والعائد على البشرية بالسعادة والهناء ، هو الكبرياء والأثرة .

وإذا قررنا أن مصير الإنسانية حالك مظلم ، لا أمل في سعادة وأمن وسلام ولا في إخاء ، و وئام ، وأنه لا يزال ينتقل من حرب إلى حرب ، ومن نكبة إلى نكبة ، ومن شئوم إلى شئوم ، ومن ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهي إلى جهنم التي سعرتها الأغراض المتطاحنة ، والأحقاد المتواصلة .

وإذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة وهداية ، وقضية عقائد ومبادئ ، وقضية ضمائر وقلوب ، وقضية أخلاق وفضائل ، وقضية دين مختار ، وشريعة مصطفاة ، ومنهج مفضل للحياة ، إنما هي قضية سلالة ونسب و دم وعرق ، وقضية ثارات وتراث ، وأحقاد وضغائن ، واسترداد لمجد ضائع ، وأرض مسلوبة أو محتلة ، و إشباع لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء ، و طبيعة الجشع .

إذا قررنا ذلك كله ، فلا شك أن اليهود هم المرشحون المهيئون للسيادة والغلبة ، وأن هذا الوضع سيظل ويدوم ، وأنه لا يعوق عن توسعهم في الحدود ، والامتلاك والاحتلال ، وعن تحقيق مخططاتهم شئ ، فإنها هي الصورة الحقيقية التي رأيناها فيما عندنا من أسفار العهد القديم ، وفي صحف التلمود ، وفي بروتوكالات حكماء صهيون ، وفي ما وصل إلينا من خطب زعمائهم ، و محاضر جلساتهم السرية ، و في ما تحقق من أعمالهم

وإجراءاتهم، منذ استولوا على القدس وعلى المدن الإسلامية العربية.

وهي صورة الحقد والاحتقار، والنقمة والسخط على البشرية، وتقديس العنصر اليهودي، والدم الإسرائيلي إلى حد التاليه، وتجريد السلالة البشرية الباقية في جميع أدوار التاريخ، وفي جميع أنحاء العالم عن كل جدارة وصلاحية، والتصميم على الاستيلاء على العالم كله، لمصلحة اليهود وحدهم، والبغضاء المتأصلة في النفوس، والضراوة بالشر والفساد، كطبيعة أصيلة، والعنف والعناد، كأخلاق قومية، وعادات موروثة، وهي الصورة التي تقترن بتاريخهم اقتران المزاج بالإنسان، وترافقهم مرافقة الظل، فالمؤامرة قوام تاريخهم وعماد حياتهم والقطب الذي يدور حوله نشاطهم وذكاؤهم، و هم الرأس المفكر، و العقل المدبر، و الإصبع المحركة في كل ثورة، وفي كل مؤامرة، وفي كل مذهب هدام، وفي كل فلسفة مدمرة، وفي كل قلق يسود، وفي كل أزمة تحدث - اقتصادية كانت أو سياسية واجتماعية كانت أو خلقية - ولا أبلغ ولا أدل من كلمة نابغتهم الدكتور أوسكا ليفي في وصف شعبه نحن اليهود، لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه".

و ليست لليهود - و لم تكن في دور من أدوار حياتهم - أي رسالة عالمية، وطبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر والدم، والغلو في تعظيم سلالة واحدة، و اعتقاد كل نزاهة وجدارة وصلاحية للتقدم الروحي، والسمو النفسي، والقرب من الله تعالى، في نسل واحد وأرومة واحدة، وعدم الاقتناع بعقيدة المساواة البشرية، و وحدة الأصل والجنس في بني آدم، وتكافئهم في فرص الرقي والتقديم، والطهارة والنزاهة، وبلوغ أعلى درجات الإيمان والإحسان، والرحمة والرضوان، فطبيعة تقديس العنصر والدم، وحصر النجابة والنبوغ، والعبقرية والعظمة، والاختصاص بخالق هذا الكون، تعارض كل المعارضة، العطف على النسل الإنساني، والحماسة في نقل أفضل ما عندها من رسالة وسعادة إلى باقي البشر وسائر بني آدم، وإشراكهم فيما عندها من علم ثابت، وعمل صالح، وأخلاق كريمة، بل إن هذه الطبيعة تجنح بطبيعة الحال إلى تضييق دائرة الهداية والدعوة،

وتحديدها في عنصر واحد، وفي سلالة واحدة، لذلك كان من الطبيعي أن الديانة اليهودية لم تكن في زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق، ولم يكلف اليهود - في ضوء من نصوص كتبهم المقدسة - بتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً، بل وردت نصوص تمنع عن ذلك، وتحصر نشاطهم الدعوي في نطاقهم العنصري المحدود، وكان من الطبيعي والمعقول جداً أن يميزوا دائماً بين بني إسرائيل، وبين الشعوب والقبائل الأخرى، وأن يضعوا للخير والشر، والبر والإثم مقاييس مختلفة تختلف باختلاف السلالات والشعوب، وأن لا يتحرجوا من أكبر إجرام أو عدوان مع شعب آخر، وذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال: ﴿ ذلك بأنهم * قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ ومن الطبيعي والمعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب والسلالات التي يحكمها اليهود لكل اضطهاد وعسف، وبخس نصيب، وتطفيف كيل، لأنهم لا ينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة، أو سلالة بشرية شريفة، وإنما هي قطيع من الغنم، أو مجموعة من عجماوات أو جمادات، خلقها الخالق لتكون آلة صماء في يد أبنائه المدللين.

إذن فالفطرة السليمة التي أودعها الله في غالب البشر، وما تحدثت الأديان والشرائع، والكتب المنزلة عن عدل الله ورحمته وحكمته وإرادته من صنع هذا الكون - الفسيح البديع المنظم المنسق - وخلقه للجيل البشري واستخلافه وتكريمه، وما أودع في الأشياء من طبائع، وما وضع لنهضة الأمم وانحطاطها، وقيام الحكومات وسقوطها، وازدهار الديانات وذبولها من سنن وقوانين، وما تحقق عند جميع الأديان، والفطر السليمة، والعقول المستقيمة، من أنه ليس رب سلالة و نسل، و رب أسرة و بيت، و رب بلد و إقليم، بل هو إله الجميع و رب العالمين، و رب المشارق والمغارب، وما ثبت في التاريخ الإنساني من أن الشعوب والأمم إنما تحيى بالرسالات التي تحتضنها والغايات التي تدعو إليها، والفضائل التي تكافح في سبيلها، وما تحمل من إفادة ونافعية، وغنه للجميع، وما نبه عليها القرآن الكريم بقوله: ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً * وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض * كذلك يضرب الله الأمثال ﴾.

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون هذه الحقائق ، و هذه الطبائع ، وهذه السنن والقوانين ، والغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون ، وأوجد لها هذا الجيل البشري ، وما يحبه من الخير والصلاح ، ومن العمران والبقاء ، لا يتمتعون بفترة طويلة من السيادة والسيطرة والغلبة والقوة ، ولا يمكّنون من تحقيق جميع آمالهم وأحلامهم ومشاريعهم ومخططاتهم الهادمة المدمرة ، الأنانية السلبية ، ولو أيدتهم ألف حكومات ، وكانت من ورائهم القوى الكبرى كلها في العالم ، ولو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التي اكتشفها المكتشفون في هذا العصر ، والتي برع فيها اليهود براعة ممتازة وسينتصر أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة ، التي تعطف على الإنسانية كلها ، وتساوى بين الشعوب والأمم ، وتنتصر للحق أينما كان ، وتحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون للإنسانية وبالإنسانية ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

وقد كان للدهاء والمكر والخديعة والذكاء الذي لا يقوم على احترام الإنسانية ، ولا يقف عند الحدود العقلية والخلقية ، والذي يتجه دائماً إلى الأنانية والسلبية ، انتصارات بهرت العقول والألباب ، وغشت على العيون والأبصار ، وشككت في التاريخ البشري ، وكادت تفقد الثقة بقوة الحق وحسن العاقبة للصادقين المتقين ، وكانت لهذه القوة التخريبية الماكرة جولات وصولات في التاريخ حتى تحركت الجبال الراسيات ، واضطربت رجال الفلسفات وعلماء الديانات ، وقد صور القرآن بإعجاز هذه الساعات الدقيقة العصيبة ، وما ينتاب العقول والقلوب في ذلك الوقت من حيرة واضطراب ، وشك وارتياب ، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن الكريم : ﴿ حتى إذا استيئس الرسل * وظنّوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا * فنجي من نشاء * ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ ، وقوله : ﴿ إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم * وإذ زاغت الأبصار * وبلغت القلوب الحناجر * وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون * وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ .

وقد عالج القرآن هذه النفسية الإنسانية التي تخضع دائماً للغلبة والقوة مهما كانت عارضة مؤقتة ، ومهما كانت سخيفة هازلة ، فقال : ﴿ لا يغرّنك

تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل * ثم مأواهم جهنّم * و بئس المهاد ﴾ ، وقال : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا * فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ .

وعالج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ، ومكر محكم ، أو مؤامرة ناجحة ، فذكر مراراً وتكراراً ، أن مصيره إلى الانهيار والافتضاح ، والخيبة والإخفاق ، وأنه كنسج العنكبوت : ﴿ و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت * لو كانوا يعلمون ﴾ وقرر أن الخير لا ينتج من الشر ، وما كان أساسه ضعيفاً متداعياً للسقوط ، ولم يكن له أصل ثابت ولا جذور عميقة - في الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة - يكون البناء الذي يقوم عليه متسعداً للانهيار في كل لحظة ، فقال : ﴿ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم * والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ، وقال : ﴿ و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾ ، وقال على لسان نبي الله موسى مخاطباً لجماعة السحرة : ﴿ قال موسى : ما جئتم به السحر * إن الله سيبطله * إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ ، وقال يتحدث عن المكر والدهاء في مختلف الأزمنة كقانون عام خالد : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله * فهل ينظرون إلا سنة الأولين * فلن تجد لسنة الله تبديلاً * ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ ، وقال : ﴿ والذين يمكرون السيئات * لهم عذاب شديد * ومكر أولئك هو يبور ﴾ وأعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والشعوب والأوطان ، ومظاهر الفوز والخسران ، والسعادة والحرمان ، فقال غير مبال بما يعتقده البشر من نجاح الحكام والملوك ، والطامحين المغامرين في عصرهم : ﴿ فاصبر * إن العاقبة للمتقين ﴾ ، وقال : ﴿ وقل جاء الحق و زهق الباطل * إن الباطل كان زهوقاً ﴾ .

[يتبع]

الإسلام . والمسلمون . والغرب

بقلم : سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
(مدير جامعة ندوة العلماء (الهند))

أبناء الغرب مصابون اليوم بحمى الحقد والمقت للمسلمين ولدينهم الإسلامي ، وقد دأبوا على ذلك منذ قرون ، منذ أن كانوا تائهين متسكعين في ظلام الجهل والتخلف ، وكان المسلمون متمتعين بنور العلم وازدهار المدنية ، فرءاهم أبناء الغرب في ذلك الحين بعين المهابة والإكبار ولكن بشعور مزيج بمركب النقص ، فكان منهم في جانب شباب يحبون الطرافة والتقدم فتهافتوا على مراكز العلم للمسلمين ومجامعهم العلمية ومجالاتهم المدنية والثقافية يتلقون منهم فيها العلم والمعرفة ويعيشون معهم فيها ، فينشأ فيهم الإعجاب والتقدير ، فكانوا يقلدونهم في مظاهر الثقافة والحضارة .

أما في جانب آخر فكان زعماء الغرب الذين يريدون المحافظة على قيمهم الدينية السائدة في مظاهر حياتهم المختلفة فكانوا يخافون من شبابهم هذا الاتجاه وإعجابهم بالحضارة الإسلامية فكانوا ينعون على ذلك ، ويظهرون خوفهم من مغبة التأثر والانطباع الذي تتركه زيارة المسيحيين مراكز العلم ومجالات الثقافة للمسلمين فكانوا يبذلون جهودهم لإبعاد شبابهم عن تأثير الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية عليهم ، ولكنه لم يكن يوجد في العالم كله أجمل وأحسن من الثقافة والحضارة الإسلامية في ذلك الحين .

فكان طبيعياً أن يُعجب بها أصحاب الشعور الحي والشباب المحبون للجديد ، رغم المخالفة التي واجهوها من زعماء أمتهم وقادة دينهم ، وفعلاً وقع خلاف بينهما في ذلك ، ففي جانب استمر عمل تنفير شباب أبناء الغرب من الإسلام والمسلمين بوسائل إعلامية مختلفة ، وفي جانب آخر تربى طائفة من الجيل الجديد من أبناء الغرب على العلوم والمعارف التي اقتبسوها

من مسلمي أسبانيا المتحضرين ، ثم نظّم أبناء هذا الجيل لما تقلدوا مناصب التوجيه والقيادة حياة أمتهم على الطرق المتطورة واستمروا يرقونها ، وبجنب ذلك سرى التهاون والترهّل في شباب المسلمين ، حتى بدأت كفة ميزان المعرفة والعمل الجاد لدى الغرب ترجح على كفة ميزان المعرفة والعمل الجاد لدى المسلمين ، وبدأت القوة المادية والاقتصادية لدى الغرب تزداد تحسناً وتقدماً على عكس ما كانت لدى البلدان الإسلامية .

واستمر ذلك حتى انقلبت الأوضاع وتحول من كان في الحضيض من الحياة المادية والعلمية إلى أوجها ومستواها الرفيع ، واستمرت عواطف العداء من أبناء الغرب للمسلمين بل وقد استحدثوا وسائل أقوى وأساليب أجدّ ، ومنها وسائل الإعلام المختلفة ، وطريقة البحث العلمي كعمل حسن في الظاهر ولكن كوسيلة للهدم كذلك ، فكان من تأثير ذلك أن الزمن استدار من الناحية المادية والعلمية ولكن بقي على حاله السابقة في العداء للإسلام ، ويعتبر ذلك لأن مشاعر العداء للإسلام لم تتغير لأنها كانت تغذيها أفكار وتوجيهات لا يقل فيها عداء الإسلام والمسلمين .

لقد صارت الشعوب الغربية المسيحية منقسمة منذ الحرب العالمية الثانية إلى قطبين للقوى السياسية والمادية والعسكرية كان مركز ثقل أحدهما في موسكو ، و مركز ثقل الآخر في واشنطن ، واشتد بينهما العداء والاختصام ، فشغل ذلك فكر الغربيين واهتمامهم فتهاونوا في معاداة المسلمين بصورة كبيرة وانشغلوا فيما بين الكتلتين واحتاجوا إلى كسب الأصدقاء حتى من الدول الإسلامية أيضاً ، فنال المسلمون من ذلك قدراً من الهدوء والطمأنينة ، ثم تغلب على القطب الروسي ، وصار العالم بذلك تحت قطب واحد ، وزال الشغل الشاغل من الحرب البارئة بين الكتلتين ، وعادت القوى الغربية لعداء الإسلام مرة آخر ؟ واستمرت معركة العداء هذا ، وهي تزداد يوماً فيوماً ، حتى سقطت أكثر الدول الإسلامية فيها صريعة واحدة تلو أخرى ، وهو أمر يتطلب منا اهتماماً زائداً وتفكيراً جاداً ، لاختيار أسباب أقوى للتغلب على هذه المعركة ، إن هذه المعركة تستغل وسيلتين للتأثير والتحويل ، وسيلة السياسة والاقتصاد ، و وسيلة الإعلام والبحث العلمي ، فإذا كانت قوانا السياسية أصبحت عاجزة عن حمل المسئولية الملقاة عليها ، وأصبحت تسير تابعة للقوى الكبرى ، ولا يستطيع

المسلمون تغيير هذا الوضع ، فلسنا عاجزين عن إصلاح حالتنا الفردية والاجتماعية ، وعن ترقية قوانا الإنسانية وتسخير وسائل الإعلام الحديثة لتغيير ما في مجال الإعلام ، والبحث ، فإن هذا المجال ليس ملكاً لأحد لا يمكن المساهمة فيه أو انتزاع الزعامة فيه ، فإنه كان على أهل الدراسة والكتابة من المسلمين ، وعلى القادرين على استعمال وسائل الإعلام منهم أن يكافحوا لإزالة الشبهات وأخطاء فهم الغرب عن الإسلام والمسلمين ، فإنه لا يمكن أن يكون أبناء الغرب جميعهم حاقدين للإسلام والمسلمين في ضوء معرفتهم للحقائق ، فإن جهودنا لتقديم الوجه الصحيح لتعليمات الإسلام وآداب الحياة الإسلامية لن تعجز عن التأثير في أفكار كثير من الناس ، ولقد جربنا ذلك في الجهود القليلة البسيطة التي بدأت تبذلها منظمات إسلامية اليوم في الغرب ، فإنه يدخل في الإسلام كل يوم طائفة من أبناء الغرب ، ويعترفون بسلامة الإسلام وحياة المسلمين من تلك التهم التي دأبت القوى المعادية من الغرب توجهها إلى الإسلام والمسلمين ، فقد صدرت كتب تحتوي على هذه الاعترافات بل وعلى دعوة الآخرين أيضاً إلى قبول هذه التضحيات .

ولكننا إلى الآن مقصرون جداً في عرض صور الإسلام الناصعة وآداب الحياة الإسلامية الصحيحة على غير المسلمين في الغرب ، وفي الدول التي يعيش المسلمون فيها في الأقلية حتى إن غير المسلمين قد يجاورون المسلمين عقوداً من السنين ، ثم لا يعرفون عن الإسلام والحياة الإسلامة إلا أقل من واحد في المائة ، والذي يعرفونه يكون خطأً ومخالفاً للحقيقة ، كيف لا تظهر حياتنا الإسلامية أمامهم ، ولماذا لا نسعى لذلك ؟ ولماذا لا تكون في مكتبات العالم مجموعة مؤقرة من المؤلفات التي تمتلئ بها الكتب المتحدثة عن الإسلام بأقلام المعادين للإسلام ، فإن عدم وجود كتب تمثل الإسلام في مكتبات العالم تقصير كبير لا يمكن تبرئتنا من الجريمة فيه .

إن عرض الإسلام على غير المسلمين مسئوليتنا ، ونحن مقصرون تقصيراً كبيراً في أدائها ، ومن المؤسف أننا لا نشعر بمسئوليتنا في ذلك ولا نعبأ بها بل ونتهم غير المسلمين على غفلتهم وإعراضهم وعدائهم ، وهم يمكنهم أن يتهمونا بعدم تقديمنا أمامهم حقيقة الإسلام التي لا يزال فيها تأثير ودعوة وقوة ، وإن اتهمونا بالتقصير في ذلك ففي اتهامهم وجاهة .

☆☆☆

هل استعمر اليهود أمريكا ..؟!

بقلم : الدكتور غريب جمعة

ذكرنا في مقال سابق تحذير السياسي الأمريكي المحنك "بنيامين فرانكلين" من خطر اليهود في خطابه الذي ألقاه أمام المجلس التأسيسي لوضع الدستور الأمريكي عام ١٧٨٩م وطلب فيه الموافقة على طردهم من أمريكا .

ومما جاء في هذا التحذير : "إذا لم يُبعد هؤلاء اليهود من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إليها في غضون ١٠٠/سنة إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا بأرواحنا وحرياتنا الفردية .. إلخ" .

والسؤال الآن : هل تحقق ما حذر منه بنيامين فرانكلين فاستعمر اليهود الولايات المتحدة وحكموا شعبها ودمروه ؟

و لابد من نظرة على التواجد اليهودي في أمريكا قبل الإجابة على هذا السؤال ، لقد اكتشفت أمريكا في القرن الخامس عشر الميلادي ، ويرجع التواجد اليهودي فيها إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي حينما هاجرت أعداد قليلة ، ثم زادت الهجرة شيئاً فشيئاً حتى تحولت إلى طوفان ضخم بعد الحرب الكونية الأولى ، ولتحل نيويورك محل لندن كمركز النشاط اليهودي العالمي ولتصبح الولايات المتحدة مركز النفوذ والسلطان اليهودي ، حيث بدأت تغيب الشمس عن الإمبراطورية البريطانية (اليهودي العالمي ، هنرى فورد : ص/٢٥٣) .

لقد هاجر اليهود من بلدان عديدة ، إلى أمريكا وتنامى عددهم حتى وصل إلى ستة ملايين يهودي ، يعيش ٤٠٪ منهم في نيويورك وحدها ، هذا بالإضافة إلى ثلاثة ملايين يهودي سري (الحكومة الخفية : ص/١٦٣) .

ولقد بدأ اليهود يخططون - منذ وصولهم - لسيطرة ذات ثلاث شعب هي :

الأولى : الاقتصاد .
الثانية : السياسة .
الثالثة : الإعلام بوسائله المتعددة .
وسوف نتناول كل واحدة بالحديث لنرى النتيجة النهائية لذلك - والله المستعان .

١- السيطرة الاقتصادية :

لما كان اليهود عباد مال - حيث عبدوا عجلهم الذهبي من دون اللّه - يتمسحون بأعتابه ويمرغون وجوههم في ترابه ، فإنهم يتهافتون على جمعه ويُفنون العمر في طلبه غير مبالين من أي طريق جمعوه ولا من أي الناس أكلوه ، لأنهم يعتقدون أن من ملك المال فقد ملك كل شئ ولا يحول دون رغباته شئ ، وهو جدير بالتباهي والتفاخر والاستعلاء والتطاول حتى ولو كان على مقام الألوهية الأقدس !! ألم يقولوا في الماضي : ﴿ إن اللّه فقير ونحن أغنياء * سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق * ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ . [سورة آل عمران ، الآية : ١٨١]

وصدق اللّه فقد سجل اللّه عليهم ذلك في وحي يتلى إلى يوم القيامة .

وحينما بدأت حرب استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن التاج البريطاني عام ١٧٧٥م حتى عام ١٧٨١م ، عندئذ اهتبل المرابون اليهود فرصة الحرب حتى لا تفلت منهم فأشعلوا نارها بين الطرفين ، وكلما آذنت بالانطفاء ألقوا وقوداً جديداً فيها بإمداد كل منهما بالسلاح والمال والمعلومات والتجسس لحساب كل منهما على الآخر .

و وضعت الحرب أوزارها فغنموا منها أرباحا طائلة وعلى رأس الرابحين "آل روتشيلر" ذوى العراقة والتخطيط الشيطاني في جمع المال وتكديسه في مصار فهم ليكون تحت تصرفهم حين يريدون .

ولكن هذه الأرباح الطائلة لم تشبع نهمهم ولم ترض طموحهم الشرير ، فكانت الخطوة التالية للتحكم في الاقتصاد الأمريكي ، حيث تقدم المدعو الكسندر هاملتون المندوب المعين في أمريكا من قبل مصرف إنجلترا الذي يسيطر عليه اليهود ، تقدم هذا المندوب باقتراح لإنشاء مصرف أمريكي

فيدرالي ، ولكن المعروف وقتها أن حق إصدار النقد والإشراف عليه بيد الحكومة .

ولكن هاملتون لم ييأس بل ظل يسعى ومعه عميل آخر حتى نجحا في إنشاء بنك آف أمريكا عام ١٧٨٣م ، ولم يكن مدراء هذا البنك إلا عملاء لدى مصرف إنجلترا ، وكلاهما يسيطر عليه المرابون العالميون اليهود .

وعلى الرغم من تحذير بنيامين فرانكلين من هذا الخطر واقتراحه بطرد اليهود من أمريكا إلا أن المجلس التأسيسي لم يوافق على اقتراحه لأسباب متعددة ، وقد توفي عام ١٧٩٠م ولم ينجح في طرد اليهود من أمريكا .

وبعد وفاته مباشرة وقف المرابون اليهود وعملاؤهم بكل قوتهم وراءها ملتون حتى تولى وزارة المالية ، وفتح له ذلك المنصب الطريق لتحقيق أغراض اليهود الشريرة حيث حصل على موافقة الحكومة الأمريكية بإعطاء حق إصدار النقد لبنك أمريكا .

وهكذا وقع الشعب الأمريكي في فخ السيطرة المالية اليهودية ، و وقف كبار القادة الأمريكيين رافضين إعطاء حق إصدار النقد للأشخاص والهيئات الخاصة طالما أن الدستور جعل ذلك من حق الكونجرس ولكن رفضهم ذهب مع الريح .

ولكن لا يزال طموح اليهود الشرير إلى ما هو أبعد من ذلك فقد أشعلوا نار الحرب بين ولايات الشمال والجنوب لتجزئة أمريكا ، ويصف مؤلف كتاب : "حكومة العالم الخفية" ذلك قائلاً : "لو لا أن اليد الخفية قررت في حفل زواج روتشيلر عام ١٨٥٧م تجزئة الولايات المتحدة ما كان للحرب الأهلية أن تندلع إلا بعد خمسين سنة من قيامها أو ربما كانت لم تقم ابداً على الرغم من وجود نزاعات بين الشمل والجنوب منذ عام ١٨١٢م" .

وكانت خطة اليهود تقضى بإعادة تجزئة الولايات المتحدة بين بريطانيا من الجنوب وفرنسا من الشمال .

ولما باءت خطة التجزئة بالفشل واصل المرابون اليهود عملهم الخبيث فقدموا القروض تلو القروض لكل من الشمل والجنوب حتى يطول أمد الحرب فتتضاعف الأرباح ويتضاعف التسلط والتحكم في الشئون المالية .

وقد أعرب الزعيم لنكولن عن مخاوفه من تسلط وتحكم المرابين العالمين في شئون بلاده المالية ، فقال في أحد خطاباته إلى الأمة : "إنني أرى في الأفق نذر أزمة تقترب شيئاً فشيئاً ، وهي أزمة تثيرني وتجعلني أرتجف من الخشية على سلامة بلدي ، فقد أصبحت السيادة للهيئات و الشركات الكبرى ، وسوف يتبع ذلك وصول الفساد إلى أعلى المناصب وستصبح ثروة البلاد كلها تحت سيطرة فئة قليلة" . [النشاط السري اليهودي : ص/١٩١]

وقد حاول تطبيق نص الدستور الأمريكي الذي يعطى الكونجرس وحده حق إصدار العملة ويحظر ذلك على أية جهة أخرى .

وكان ينوي تطبيق إجراءات اقتصادية جادة بعد ما جدد له الشعب الولاية مرة ثانية .

وأحس المرابون العالميون أن الخطر يقترب منهم وأن الخناق سيضيق عليهم وأن قرارات لنكولن ستقصم ظهورهم .. فما كان منهم إلا أن دبروا مؤامرة اغتياله ، وتم ذلك على يد يهودي أمريكي يدعى جون ويلكس يوث في مسرح فورد يوم الرابع عشر من أبريل عام ١٨٦٥م .

وتوالى النشاط اليهودي وتزايد مع الأيام ولم يأت النصف الأول من القرن العشرين الميلادي إلا وأصبح اليهود "ملوك المال" فقد استولوا بتخطيطهم الشيطاني على مصادر الذهب والمعادن والبترول ، واستولوا على أهم الشركات الزراعية والصناعية والتجارية ، واحتكروا صناعة السينما والسكر والتبغ ، وسيطروا على المسارح والملاهي ، كما سيطروا على الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون وعلى معظم صناعة الآلات الموسيقية والمجوهرات والحديد والصلب ، واستولوا على البورصة وعلى البنوك ومنحوا القروض داخل وخارج أمريكا .

كان هذا في النصف الأول من القرن العشرين أما اليوم ونحن على مقربة من نهايته فقد بلغ التسلط اليهودي والسيطرة الاقتصادية قدراً كبيراً لا يمكن تصوره ، حتى قال عنه المليونير الأمريكي هنري فورد في كتابه "اليهودي العالمي" ص/٢٢ : "إن الحكومة اليهودية في نيويورك تؤلف الجزء الأساسي في الحكومة اليهودية للولايات المتحدة الأمريكية" .

الدعوة الإسلامية :

"حوار من أجل العقيدة"

[١]
بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" (الرياض)

كنت قد أخرجت كتاباً صغيراً باسم تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ، يقع في ١١٠/صفحات تقريباً ، وطبع للمرة الأولى بتطوان بالمغرب عام ١٤٠٧هـ ، وطبعته دار المعارف بالرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ ، أوضحت فيه بأن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأعداء دين اللّه الحقّ ، من أرباب المصالح الدنيوية ، ممن يريد إطفاء نور اللّه ، والتصدّي لمن يريد أن يحقق التوحيد الذي أمر به اللّه ، وأرسل به رسله من أولهم إلى آخرهم : دعوةً وتطبيقاً ، وتنقية من مداخل الشرك .

فوجدوا دعوة خارجية أباضيّة ، في شمال إفريقيا ، نشأت في القرن الثاني الهجري ، باسم الوهابية ، نسبه إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الأباضيّ ، و وجدوا فتاوى من علماء المغرب والأندلس ممن عاصرها ، أو جاء بعدها ، فأرادوا شيئاً عاجلاً ، يحقق الغرض ، وينهض الهمم لإسكات الدعوة الجديدة ، خوفاً من توسّع الدائرة الإسلامية ، حيث قامت الدولة السعودية الأولى مناهضة للدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فتصافحت يدا الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما اللّه في عام ١١٥٧هـ على القيام بهذه الدعوة ، نصرة لدين اللّه ، وأداء لأمانة التبليغ ..

فوفّق اللّه ، و لقيت الدعوة قبولاً و تأييداً ، حيث امتدت إلى العالم الإسلامي كلّه ، و تأثر بها العلماء من الحجاج ، و بدأوا في نشرها

بلادهم ..

فخاف المنتفعون دنيوياً، من آثارها، و وجدوا الضالة في الوهابية الرستمية، المدفون خبرها في سجلات التاريخ، فنبّشوا عن فتاوى العلماء حولها .. وكانت فرصة بإلباس الثوب القديم، للدعوة الجديدة، و وجدت الإشاعة صدى في النفوس، لأن أرباب المنافع الدنيوية جهدوا في التّمويه والتّشويه، والناس عادة يتلقّفون الكذب أكثر من اهتمامهم وتحرّيهم للصدق، ولذا فإن للإشاعات دوراً كبيراً في تغيير المفاهيم، و وضع تصوّرات تغاير الواقع .. بحسن نيّة أو سوء فهم.

وفي حدود عام ١٤٠٧هـ، كان نقاش علميّ، مع أحد علماء المغرب، حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) حقق نتيجة مرضية، وصحح مفهوماً تاريخياً سائداً، وقد رغب إلي أكثر من أخ كريم، ذكر سبب تأليف تلك الرسالة كتابياً، حيث ذكرتها لهم شفوياً، لأنها أمكن في البلاغ، ويطلع عليها أكبر عدد ممكن، حيث تبقى حيّة لمن يريدها، واستجابة لذلك أقول :

قد يكون من المناسب الاشتراك مع القارئ في السبب الذي من أجله كتبت : تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، لأن الله قد جعل لكل شئ سبباً، فكان هذا الحوار، الذي تولّد عند النقاش العلمي المقنع، والحوار الهادئ المثمر، هو السبب المباشر لكتابة هذه الرسالة.

☆ ففي عام ١٤٠٧هـ كنت في مهمة لموريتانيا، ثم عرّجنا على السنغال، وقد كان خطّ سير الطيران ملزماً لنا بالبقاء في المملكة المغربية ستة أيام.

وفي أحد الأيام كنت في ضيافة أحد الأساتذة بإحدى الجامعات هناك، وأرمز له ب : الدكتور عبد الله، و في جلسة بمكتبته، دارت أحاديث شتى، ومن محبته للمملكة، وحضوره مؤتمرات عديدة بها، طرح عليّ هذا السؤال، أمام الحاضرين وعددهم، يقارب الإثنى عشر شيخاً، من فضلاء البلاد هناك.

☆ قال : إننا نحب المملكة، ونفوس المسلمين وقلوبهم تهفو إليها، وبيننا وبينكم تقارب كبير وتفاهم بين القيادات، وإعجاب بما يؤديه حكام وعلماء المملكة من جهود مخلصة للإسلام والمسلمين، ولكن حبذا لو تركتم المذهب الوهابيّ، الذي فرق بين المسلمين ؟!

☆ فأجبته : قد يكون علق بالذّهن معلومات خاطئة، مأخوذة من غير مصدرها السليم، ولكن حتى تلتقى المفاهيم، نحب أن نطرح الموضوع بحضور الإخوة للنقاش العلميّ، المقرون بالبراهين .. ثم قلت :

☆ ولما كان كل إنسان ترتاح نفسه، ويطمئن قلبه، لما ألّفه علماء بلده، فإنني في هذا الحوار لن أخرج عما في محتويات هذه المكتبة، التي تضمنا جدرانها الأربعة، لأنك كما تراني الآن لا أحمل كتباً، ولم يخطر ببالي مثل هذا النقاش.

ولذا وقبل أن نبدأ : أرجو أن يكون نقاشنا بعيداً عن التعصّب والانفعال، أو طرح الآراء بدون دليل مقنع يعوّل عليه، لأن نشدان الحقيقة هو هدفنا، والامتثال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ هو غايتنا، ونصرة دين الله هو المؤمل من كل منا.

قال : أوافقك على هذا، و أصحاب الفضيلة المشايخ هم الحكم بيننا.

قلت : رضيت بذلك، وبعد التوكل على الله أرجو أن تطرح أيّ مدخل للحوار.

قال : خذ مثلاً ما ذكره الونشريسي في كتابه المعيار الجزء/١١، وهو قوله : سئل اللخميّ عن أهل بلد بنى عندهم الوهابيون مسجداً، ما حكم الصلاة فيه ؟ (١).

---

(١) انظر : "المعيار المغرب، في فتاوى أهل المغرب" : ج/١١، ص/١٦٧، والسؤال في المعيار أوسع مما ذكر هنا.

وللمعلومية : فإن كتاب المعيار هذا ، هو كتاب يجمع الفتاوى في الفقه المالكي ، جمعه أحمد بن محمد الونشريسي ، وطبع في ١٣/مجلداً ، وقد طبعته الحكومة المغربية ، وتوزع منه نسخ بالإهداء .

☆ بعد طرح السؤال ، واحضار الكتاب المذكور : ج/١١ ، أجبته : بأن الفتوى على هذا السؤال صحيحة ، و نوافق اللّخمي على ما جاء في فتواه .

قال : إذاً اتفقنا على هذه الفرقة ، وخطأ ما تسير عليه ، خاصة ، والمفتي ، قال : هذه فرقة ، خارجية ضالة كافرة ، قطع اللّه دابرها من الأرض ، يجب هدم المسجد ، وإبعادهم عن ديار المسلمين .

قلت : لم نتفق بعد ، ولا زلنا في بداية الحوار .. ولعلمك : فإن هذه الفتوى لها نظائر كثيرة قبل اللخميّ و بعده ، موجودة لدى علماء الأندلس ، وفقهاء شمال إفريقيا ، وهي مستمدة من حكم رسول اللّه ﷺ في الخوارج ، الذين قاتلهم علي بن أبي طالب (رضي اللّه عنه) في النهروان .

وفي نقاشنا هذا ، سوف تصل بإذن اللّه ، إلى تصحيح المفهوم التاريخيّ ، بين ما تعنيه هذه الفرقة ، التي أفتى علماء الإسلام في الأندلس وشمال إفريقيا ، وبين التسمية التي الصقت وصفاً مستهجناً ، بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه اللّه) التصحيحية ، هذا التصحيح لن يكون مقنعاً إلا بقرائن وبراهين ، مرضية عندكم ، لأن رائدنا جميعاً الوصول إلى الحقيقة لذات الحقيقة .. والرأي الهادئ المقنع هو الذي تنجلي به الغشاوة وتصحح المفاهيم .

قال : كلنا نريد الوصول لهذه الحقيقة .. ثم قال : وبعد هذه الفتوى ، نريد أن تعطينا ما عندك ، ونحن نستمع والإخوة يحكمون بيننا ، ويصوّبون أو يخطئون ما يقال ، أو يعرض أمامهم .

قلت : سترون - إن شاء اللّه - ، ما ينير الطريق لمن يريد الوصول

للرأي الصائب ، في استجلاء الأمر ، ولهذا : نبدأ بما لدينا من أجزاء المعيار ..

ولعلك تقرأ طرّة الكتاب ليسمع الإخوة ؟

قال : تريد الفتوى حتى أقرأها أمامهم ، أم أبدأ بما على الغلاف الخارجيّ من معلومات ؟؟

قلت : بل الغلاف الخارجي .. أو الداخلي فهي سواء ..

فقرأ : الكتاب المغرب في فتاوى أهل المغرب ، تأليف : أحمد بن محمد الونشريسي المتوفّى عام ٩١٤هـ بفاس بالمغرب .

قلت لأكبر المشايخ سناً ، وهو شيخ وقور ، هادئ الطبع ، اسمه أحمد : يا شيخ أحمد سجّل تاريخ وفاة المؤلف أحمد الونشريسي .. فرصد ذلك عام ٩١٤هـ .

ثم قلت : هل من الممكن احضارترجمة اللخميّ ؟

قال : نعم .. ثم قام إلى رفّ من رفوف المكتبة فأحضر جزءً من أحد كتب التراجم ، وفيه ترجمة : علي بن محمد اللخمي ، مفتي الأندلس وشمال إفريقيا ، والترجمة طويلة ، وفيها ثناء عليه وعلى علمه .. فقلت : إن بيت القصيد في نهاية الترجمة : فمتى توفي ؟

☆ قال القارئ : وتوفي عام ٤٧٨هـ (١) .

فقلت للشيخ أحمد : اكتب تاريخ وفاة الشيخ علي اللخمي ، فكتبه في عام ٤٧٨هـ .

فقال الدكتور عبد اللّه : هل تشك في علمائنا وفي فتاواهم ؟

قلت : و ما دليلك على هذا الشك ؟ ثم التفتّ إلى المشايخ .. وقلت : هل بدر مني ما يدعو إلى الشك الذي أوجب هذا القول ؟ فكان

---

(١) الحلل السندسية : ص/١٤٣ ، والأعلام - للزركلي : ١٤٨/٥ ، وفي الحلل السندسية أنه توفي بسفاقس .

الجواب بالإجماع : النفي .

قلت : ولكي أنفي الشك عني ، وعن علمائنا في بلادي ، فإننا نحترمهم ونجلّهم ، ونصوّب كل فتوى تصدر عنهم ، يدعمها الدليل من الكتاب الكريم ، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ ، ولكن الوصول إلى ما بدأنا الحديث من أجله ، مقروناً بما يدعمه ، يحتاج إلى شئ من الأناة والصبر .

ومن باب استعجال الجواب : أطرح على الجميع هذا السؤال : هل يمكن أن يفتى العلماء على معتقد لم يوجد صاحبه الذي ينسب المعتقد إليه بعد ، أو الحكم على ملّة من الملل لم تظهر بعد ؟؟!!

قالوا جميعاً : لا .. ولم يعرف هذا ، إلا ما جاء عنه إخبار من رسول الله ﷺ ، وهذا من معجزات النبوة ، وفي الغالب يأتي بالوصف دون المسمّى .

قلت : موجهاً الكلام لمحدّثي : ألست تعتقد ويعتقد غيرك أن الوهابية ، أول من أنشأها محمد بن عبد الوهاب في نجد ؟ قال : بلى .

قلت : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عند ما أفتى اللخمي ، وغيره من علماء المالكية في الأندلس ، وفي الشمال الإفريقي ، كان أكثر من اثنين وعشرين من أجداده لم يولدوا بعد ، باعتبار أن المتوسط لكل قرن ثلاثة جدود ، كما أن بين وفاة عبد الوهاب بن رستم و وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يقرب من واحد وثلاثين جداً .

وعلماؤكم ، وعلماء المسلمين لا يعلمون الغيب ، وننزّههم عن الكهانة والسحر ، وعن القول في أمر لا يعلمونه ، يقول سبحانه : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله * وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ (١) .

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٦٥ .

قال : أوضح أكثر ..!!

قلت : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١٥هـ ، ومات سنة ١٢٠٦هـ ، وبينه وبين أحمد الونشريسي الذي ألّف كتاب المعيار ، ونقل الفتوى عن اللّخمي - كما مرّ بنا - مائتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢) وفق تاريخ الوفاة ، كما أن بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبين اللّخمي ، وهو صاحب الفتوى سبعمائة وثمانية وعشرون عاماً (٧٢٨) وفق تاريخ الوفاة ، وفق ما سجل الشيخ أحمد لوفاة كل منهما .

ويقاس على هذا كل من أفتى ، من علماء الأندلس وشمال إفريقيا عن تلك الوهابية ..

قال : هل يمكن أن توضح أكثر لما تعني .. بدليل مقنع ؟

قلت : لم يهتم علماء الشمال الإفريقي والأندلسي ، بالفتاوى عن الوهابية والتحذير منها ، إلا لأنها موجودة عندهم بخلاف ديار المسلمين الأخرى ، التي وضّح فرقها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل (١) ، وابن حزم في كتابه العقل في الملل والنحل (٢) .

وفي موضوعنا : ألا يوجد عندك كتاب : الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا ، الذي ألّفه الفرنسي : الفردبل ، وترجمه للغة العربية : عبد الرحمن بدوي ؟ .. وهو جزء واحد .

قال : ها هو موجود .. ثم قام وأحضره .

قلت : فلنقرأ في آجره ، حرف الواو .. فقرأ أحدهم : الوهبية أو الوهابية : فرقة خارجية أباضية أنشأها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن

---

(١) يراجع هذا الكتاب ، و هو جزءان ، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

(٢) يراجع هذا الكتاب ، و هو ٤/أجزاء ، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

رستم ، الخارجي الأباضيّ ، وسميت باسمه وهابية ، الذي عطّل الشرائع الإسلامية ، و ألغى الحج ، و حصل بينه و بين معارضيه حروب .. إلى أن قال : المتوفي عام ١٩٧هـ بمدينة تاهرت بالشمال الإفريقي ، وأخبر بأن فرقته أخذت هذا الاسم : لما أحدثه في المذهب من تغييرات ومعتقدات ، وكانوا يكرهون الشيعة ، قدر كراهيتهم لأهل السنة (١) وكان الفرد هذا قد تحدث في كتابه المنوه عنه : عن الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى وقت المؤلف في العصر الحاضر تقريباً .

وعبد الوهاب بن رستم قد اختلف في تاريخ وفاته ، عند من كتب عنه ، ويرى الزركلي في الأعلام أن وفاته عند ذلك نحو ١٩٠هـ (٢) .

قلت له وللحاضرين : هذه هي الوهابية التي فرّقت بين المسلمين ، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال إفريقيا ، كما تجدون في كتب العقائد عندكم ، وهم محقّون فيما قالوا عنها .

[للحديث صلة]

---

(١) انظر : ص/١٥٠ من هذا الكتاب ، ومن ص/١٤٠ إلى ص/١٥٢ منه .

(٢) الأعلام - للزركلي [ط/٥] دار العلم للملايين : ١٩٧/٥ .

جماعة الإخوان المسلمين

في مصر، تاريخ ومنهاج

الدكتور محمد السيد علي بلاسي
أستاذ جامعي أديب وكاتب إسلامي (جمهورية مصر العربية)

في عام ١٣٤٧هـ/مارس ١٩٢٨م ، أسس الشيخ حسن البنا جماعة "الإخوان المسلمين" في الإسماعيلية بمصر العربية ..

وقد عرّف "الإخوان المسلمون" أنفسهم في قانون نظامهم الأساسي - المادة الثانية - بما يلي :

"الإخوان المسلمون" هيئة إسلامية جامعة ، تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض ، مثل :

أ- شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها. ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر ، ويرد عنها الأباطيل والشبهات .

ب- جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية ، وتجديد أثرها الكريم فيها ، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة .

ج- تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها ، والعمل على رفع مستوى المعيشة .

د- تحقيق العدالة الاجتماعية ، والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ، والمساهمة في الخدمة الشعبية ، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع أعمال البر والخير .

هـ- تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً ، والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي ، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً ، والسير إلى الجامعة الإسلامية .

و- قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً ، وتحرسها في الداخل ، وتبلغها في الخارج .

ز- مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات ، وتحفظ الحقوق ، والمشاركة في بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة ، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة .

الإسلام من منظار الإخوان المسلمين :

فالإسلام في نظر الإخوان المسلمين - كما ورد في رسالة التعاليم للإمام حسن البنا - : عقيدة وعبادة ، وطن وجنسية ، دين ودولة ، روحانية وعمل ، مصحف وسيف ، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ، ومن صميمه ، حيث يوصي بالإحسان فيه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿ و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ . [سورة القصص : الآية : ٧٧]

كما يعتقد الإخوان المسلمون أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، اللذان إن تمسكت بهما أمة فلن تضل أبداً .. ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تعمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي ، وأن نفهم الإسلام كما فهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح - رضوان الله عليهم جميعاً - ، كما يجب أن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما قيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والإسلام دين البشرية جميعاً .

إلى جانب ذلك يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام - كدين عام انتظم شئون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان - ، وجاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة ، وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشئون ، ويرشد الناس إلى الطريقة العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها .

وسائل الإخوان المسلمين في تحقيق أغراضهم :

لقد حددت المادة الثانية من نظامهم الأساسي أن على الإخوان المسلمين الاعتماد على الوسائل الآتية - عند تحقيق أغراضهم - ، فضلاً عن كل وسيلة أخرى مشروعة :

أ- الدعوة : بطريقة النشر والإذاعات المختلفة من الرسائل والنشرات والصُحف والمجلات والكتب المطبوعة ، وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج .

ب- التربية : بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادئ ، وتمكين معنى التدين العملي لا القولي في أنفسهم أفراداً وبيوتاً ، وتكوينهم تكويناً صالحاً : بدنيا بالرياضة ، وروحياً بالعبادة ، وعقلياً بالعلم ، وتثبيت معنى الأخوة الصادقة ، و التكامل التام ، و التعاون الحقيقي بينهم ؛ حتى يتكون رأى عام إسلامي موحد ، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، يعمل بأحكامه ، ويوجه النهضة إليه .

ج- التوجيه : بوضع بعض المناهج الصالحة في كل شئون المجتمع : من التربية والتعليم ، والتشريع والقضاء ، والإدارة ، والاقتصاد ، والصحة العامة. والحكم والاسترشاد بالتوجيه الإسلامي في ذلك كله ، والتقدم بها إلى الجهات المختصة ، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية الدولية ؛ لتخرج من دور التفكير النظري إلى التفكير العملي .

د- العمل : بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية وفنية وعلمية ، وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ ، وتأليف لجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر والإصلاح بين الأفراد والأسر ، ومقاومة الآفات الاجتماعية ، والعادات الضارة ، والمخدرات والمسكرات ، والمقامرة ، والبغاء ، وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة وقت الفراغ بما يفيد وينفع ..

أهداف حركة الإخوان المسلمين :

لقد لخص الإمام حسن البنا - رحمه الله - في رسالة "الإخوان" (تحت رعاية القرآن) ، غاية جماعة الإخوان المسلمين ، قائلاً نريد : أولاً : الفرد

المسلم : وذلك بتثقيف عقله ، وتهذيب سلوكه ، وتزكية روحه ، وتقوية جسمه .

ثانياً- البيت المسلم : ويكون ذلك نتيجة تأثير المسلم الصالح بأسرته فيرتفع بها إلى الأسرة المسلمة .

ثالثاً- المجتمع المسلم : الذي يتكون بإجتماع وتآلف الأسر المسلمة .

رابعاً- الحكومة المسلمة : تلك التي تنبثق عن الشعب المسلم وتطبق فيه حكم الإسلام العادل ؛ ليَنعم الناس بالإسلام .

خامساً- الدولة : التي تقود الدول الإسلامية ، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم ، وترد عليهم أرضهم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة ، وبلادهم المغصوبة تحت علم الجهاد ، ولواء الدعوة إلى اللّه حتى يشهد العالم بتعاليم الإسلام .

الجهاز التنظيمي لجماعة الإخوان المسلمين :

١- المرشد العام : هو رئيس الجماعة مدى الحياة ، ينتخب من قبل أعضاء الهيئة التأسيسية ، يساعده مجلسان .

٢- المجلس التنفيذي : ويسمى بمكتب الإرشاد العام ، وينتخب من الإخوان العاملين .

وتقسم المراكز الإدارية حسب التنظيمات الإدارية في الدولة :

أ- الشعبة : وتتكون من مجموعة من إخوان الشعبة الموزعين إلى أسر وهي أصغر تنظيم في الجماعة .

ب- المنطقة أو المراكز : وتتألف من كل الشعب الموجودة في المنطقة .

ج- المكتب الإداري : يتألف من كل المناطق الواقعة في حدود المديرية أو المحافظة .

نشاطات الجماعة التابعة لمكتب الإرشاد :

١- قسم نشر الدعوة . ٢- قسم العمال . ٣- قسم الفلاحين .
٤- قسم الأسر . ٥- قسم الطلبة . ٦- قسم الاتصال بالعالم الإسلامي.
٧- قسم التربية البدنية . ٨- قسم الصحافة والترجمة .
٩- قسم المهن . ١٠- قسم الأخوات المسلمات .

أما اللجان الأساسية التابعة للمكتب فهي :

١- اللجنة المالية . ٢- اللجنة القضائية . ٣- اللجنة السياسية .
٤- لجنة الخدمات . ٥- لجنة الإفتاء . ٦- لجنة الإحصاء .

تاريخ جماعة الإخوان المسلمين :

يقرر الشيخ حسن البنا في (رسالة التعاليم) أن : "الإسلام دين حياة ، ولا حياة مطمئنة بدون نظام ، ولهذا حرص الشارع الحكيم على تنظيم كل شئ في حياة الفرد والجماعة ، فنهى الفرد عن العزلة ، ودفعه للعيش والتعاون مع الجماعة ، وأوصاه بعدم الخروج عليها ما دامت على الحق ، ولكي لا تتضارب مصالح الأفراد أو تتصارع كان لابد أن يوجد نظام شامل ينظم شئون حياة الأفراد والجماعات ويحدد لكل فرد ماله وما عليه ، وأن يُوجد قائد لكل جماعة يسهر على تطبيق هذا النظام ويقف عند حدوده .

والقيادة ركن من أركان كل جماعة مهما صغر حجمها ، ولهذا قال ﷺ : "إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم"، والقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة وإحكام خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها ، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب : ﴿ فأولى لهم طاعة ٭ وقول معروف ﴾ .[سورة محمد، من الآيتين: ٢٠-٢١]

وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية والأستاذ بالإفادة العلمية ، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً ، والثقة بالقيادة هي كل شئ في نجاح الدعوات" .

من هذا المنطلق ؛ أسس حسن البنا وتولى قيادة جماعة الإخوان المسلمين .

ولكن .. من هو حسن البنا ؟:

هو أكبر أنجال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - أحد علماء الدين ببلدة المحمودية من محافظة البحيرة بمصر العربية - ، تلك التي ولد فيها "حسن البنا" في أكتوبر ١٩٠٦م .

حفظ القرآن الكريم في أول حياته بكتاب البلدة ، و في سنة ١٩٢٠م التحق

بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور عاصمة محافظته ، وانضم إلى عدد من الجمعيات الدينية .

انتقل "حسن البنا" إلى القاهرة ١٩٢٣م وتكونت لديه فكرة تكوين دعاة إسلاميين ينشطون في المساجد والمقاهي والمجتمعات العامة ، واتصل لهذه الغاية بمحب الدين الخطيب والشيخ محمد الخضر حسين وأحمد تيمور باشا ، وحضر مجالس الشيخ محمد رشيد رضا ، ويوسف الدجوي .. وغيرهم ، وأسهم في تحرير جريدة "الفتح" الإسلامية .

التحق بكلية دار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٢٧م ، فعين مدرساً بمدينة الإسماعيلية ، وظل يعمل في حقل التدريس - في أكثر من مكان - تسعة عشر عاماً ، حتى استقال منه في عام ١٩٤٦م .

كان الشيخ "حسن البنا" خطيباً فياضاً ، ينحو في خطبه منحى الوعظ والإرشاد ، وتدور على لسانه آيات القرآن الكريم ، وكان من أكثر الناس فهماً للقرآن الكريم واستشهاداً به وتطبيقاً له في قوله وعمله وهذا هو لب دعوته ؛ حتى إن أعداء الإسلام كانوا يلقبونه بـ "الرجل القرآني" .

وكان هادئاً في عمله ، منظماً ، وكان يهتم بتربية الناشئة والشباب تربية إسلامية صحيحة ؛ لأنه كان يؤمن بهذا المنهج في تحقيق دولة إسلامية ، فكان يقول : "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم" !

وبالجملة : فإن "حسن البنا" رجل الإصلاح في عصره ، يتمتع بذكاء خارق ، وفهم سليم للإسلام بعيد عن التعصّب والتفلت ، وإخلاص منقطع النظير ؛ دفعه للعمل في سبيل دعوته ؛ واستطاع بذلك جمع القلوب ، وتزكية النفوس ، ومقارعة الاستعمار ، ونشر دعوته في كافة أنحاء العالم ، اعترف بذلك الأقربون والأبعدون ، والأصدقاء والمخاصمون !

[يتبع]

☆☆☆☆☆

دراسات و أبحاث :

العلامة الشريف السيد عبد الحي
ابن فخر الدين الحسني الرائ بَريلوي
(١٢٨٦-١٣٤١هـ)

الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي [١]
أستاذ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

حياته وآثاره :

هو السيد الشريف عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الرائ بريلوي ، أحد العلماء الأعلام في شبه القارة الهندية المبرزين في الأدب والتاريخ والتراجم ، والفقه والحديث ، ومن فحول المؤلفين وأضراب المؤرخين السابقين ، يساجلهم منقبة وقدراً ، وإن تأخر عنهم طبقة وعصراً ، ومن المساهمين الكبار في حركة "ندوة العلماء" ، وتنشيط دار علومها وتوسيع مجالاتها ، فله فيها خدمات جُلّى لا تنسى .

ولا غرو أنه مفخرة من مفاخر الهند وآية من آيات اللّه ، قضى حياة حافلة بالأعمال الجليلة الوفيرة ، توفّر على خدمة العلم والدين عن طريق التأليف والطباعة وإدارة شئون "الندوة" إلى آخر ساعة من الحياة .

ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين والفضل والصلاح يسودها الولوع بالأدب والسير والتراجم اشتغالاً وتأليفاً .

وهاكم خصائصها وميزاتها المتوارثة ملخصة من "السيرة الذاتية" لصاحبها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، على النقاط التالية :

١- المحافظة على النسب : وقد أدى ذلك إلى الحفاظ على الخصائص والتقاليد السلالية ، وبالتالي على صيانة العقيدة الصحيحة من الانحراف ، وتسلل البدع والأعمال الشركية .

٢- التمسك بعقيدة التوحيد الخالص : بعيدة عن الأعمال الشركية ، متجنبة للبدع والمحدثات ، مصونة من تأثير العقائد الشيعية ، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم ، وسمتها البارزة ، فلا يوجد لأحد من صلحاء هذه الأسرة قبر مجصص بارز ، ولا يُرى على قبر أحدهم قبة ولا عمارة ، وكذا لم يُسمع لأحد منهم احتفال بمناسبات الميلاد ، أو اجتماع على القبور أو عمل بالطقوس والتقاليد الرائجة في المجتمع الهندي .

٣- الفتوة : وهي عبارة عن الرجولة والحمية الدينية وعاطفة الجهاد ، فنشأ فيهم رجال أبطال مغامرون قاموا في عهودهم بالجهاد ضد الكفر والطغيان ، على رأسهم الإمام الهمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد السعيد ، وشرذمة من أقاربه ، ونفس هذه العاطفة تبدو في موافقتهم المواطنين المحاربين ضد الإنجليز في فتنته ١٨٥٧م الهائلة ، ونفس روح الجهاد والكفاح حملت السيد أبا القاسم الطونكي [ت ١٣٠٠هـ] أن يسجل فتوح مصر وبهنسه في منظومة كبيرة باسم : "قمقام الإسلام" ، وحملت السيد عبد الرزاق "كلامي" أن ينظم ملحمة مؤثرة مثيرة لفتوح الشام باسم : "صمصام الإسلام" المحتوى على ٢٥٠٠٠/بيت .

٤- الإيثار والمواساة والتواضع والتوادع والتنازل عن بعض الحقوق ، وعدم المنافسة في الحصول على مآرب شخصية عن طريق الشطارة والدهاء والخديعة وما إليها .

٥- اتصال قوي مستمر بأي وجه من الوجوه بـ "الشريعة والطريقة" ورجالها والاستفادة منهم بغير انقطاع في أي عهد من العهود .

٦- علم توافر الثروة المالية ، وزخارف الحياة رغم التمكن منها والقناعة بالكفاف (١) .

وقد أنجبت هذه الأسرة أعلاماً كباراً ومشايخ نبلاء ومؤلفين وأدباء ورجال فكر ودعوة وإصلاح وتوجيه في كل دور من أدوار التاريخ حتى العصر الراهن .

فمن أشهر أعلامهم مكانة وفضلاً في القرن السابع الهجري : "الأمير الكبير بدر الملة المنير قدوة الأئمة الكرام قطب الدين محمد بن أحمد المدني ، ابن أخت السيد الإمام عبد القادر الجيلاني ، ولد ببغداد في سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ، وأخذ العلم والمعرفة عن فحول العلماء وأساتذة الزوراء ، منهم والده العلامة ، ومنهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ، وانتقل من بغداد في فتنة المغول بعد ما استشهد والده ، فدخل غزنة وأقام بها زماناً ، ثم قدم الهند لعله في أيام قطب الدين أيبك ، فجاهد معه في سبيل الله وفتحت على يده الكريمة قلعة "كره" و "مانكفور" و "هنسوه" ، وغيرها من القلاع الحصينة المتينة ، وكان السلطان شمس الدين الألتمش يكرمه غاية الإكرام ، وكانت وفاة الشيخ قطب الدين في ثالث رمضان سنة سبع وسبعين وست مائة بمدينة "كره" .

كان له ثلاثة أبناء أكبرهم نظام الدين ، وكان على قدم أبيه في الشهامة والنقاوة ، مات في حياة والده ، وأعقب ولداً يسمى ركن الدين ، وهو ولي القضاء بمدينة "كره" ، وأوسطهم قوام الدين محمود الذي زوّجه السلطان شمس الدين الألتمش ابنته "فتحه سلطانه"، وأصغرهم القاضي تاج الدين ، وكان قاضياً بمدينة "كره" ، ثم ولي القضاء ببدايون ، أما القاضي ركن الدين وهو جدنا الكبير ، فقد بارك الله في أعقابه ، فانتشرت في آفاق الهند ، ونشأ فيها رجال العلم والمعرفة كالشيخ فضل الله ختن الشيخ قطب الدين الجونفوري ، والسيد محمد تقي دُرويش بوريا ، أستاذ السلطان فرّخ سير ، والقاضي محمود بن علاء الدين النصيرآبادي ، من أعقابه السيد العلامة خواجه أحمد ، والسيد العارف علم الله بن محمد فضيل ، وحفيده السيد محمد عدل ، والإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد السعيد ، وخلق لا يُحصون بحد وعد" (٢) .

ثم في القرن الثامن الهجري جاء : "الشيخ العالم الفقيه القاضي تاج الدين بن شيخ الإسلام قطب الدين محمد بن أحمد الحسني الحسيني المدني

الكروي، أحد المشايخ المشهورين في عصره، كان قاضيا بمدينة "كره"، نقله السلطان علاء الدين الخلجي إلى بدايون، و ولي مكانه ابن أخيه ركن الدين بن نظام الدين الكروي، فأقام ببلدة بدايون مدة حياته، وحصلت له أولاد فسكنوا بها واشتهروا في العلم والعمل، وقد أدركه القاضي ضياء الدين البرني، ذكره في تاريخه، وأثنى عليه ثناءً جميلاً" (٣).

وتلاه من رجال نفس القرن ابن أخيه الآنف الذكر: "السيد الشريف القاضي ركن الدين بن نظام الدين بن قطب الدين الحسني الحسيني الكروي أحد أئمة العصر وحامل لواء الفخر، توفي والده في صغر سنه، فتربى في مهد جده، وقرأ العلم على عمه قواد الدين محمود الدهلوي، ثم ولي القضاء بمدينة كره بعد ما عزل عمه تاج الدين ونقل إلى بدايون، قال القاضي ضياء الدين البرني: إنه كان جامعاً للفضائل، صاحب وجد وحالة، ذا كشوف وكرامات، لم يُر له نظير في زمانه في الترك والتجريد والإعطاء والإيثار.

قال: إني تشرفت بزيارته وقبّلت رجليه، ما رأيت مثل ما رزقه الله من الأوصاف السنية والمهابة الجلية" (٤). [انتهى]

ومن أفذاذ الرجال في القرن التاسع الهجري: "الشيخ العالم الفقيه الوجيه القاضي محمود بن علاء الدين بن قطب الدين الحسني الحسيني النصيرآبادي، كان من نسل شيخ الإسلام قطب الدين محمد بن أحمد الحسني المدني، ولد ونشأ بمهد العلم والمشيخة، و ولي القضاء ببلدة نصيرآباد في سنة سبع وثمانين وسبع مائة بعد وفاة والده، وحصل له الفتوح في الفقه، فلا يكاد يجاري فيه، وجر أذيال المفاخرة على ذويه مع وقوف تام على علوم كثيرة وفنون جمة، وهو في سلسلة أجدادي من جهة الأب، مات في سنة ثمان وستين وثمانمائة بنصيرآباد فدفن بحظيرة الخطباء، كما في "مآثر السادات للسيد الوالد" (٥)، وخلفه ولده السيد الشريف القاضي محمد بن محمود بن العلاء الحسني الحسيني النصيرآبادي أحد الرجال المعروفين بالفضل

والصلاح، ولي القضاء ببلدته سنة ثمان وستين وثمانمائة في عهد السلطان علاء الدين الخضرخاني، واستقل به سبعاً وعشرين سنة، وكان قويم السيرة في القضاء، له مهارة بالمعارف الإلهية، توفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثمانمائة في أيام السلطان إسكندر بن بهلول اللودي كما في "مآثر السادات للسيد الوالد" (٦).

ومن مشاهير الرجال في القرن العاشر الهجري: "السيد الشريف القاضي أحمد بن محمود بن العلاء الحسني النصيرآبادي المعروف بـ "سيد راجي" جدنا الكبير كان من نسل الأمير قطب الدين محمد بن أحمد المدني البغدادي نزيل الهند، تولى القضاء ببلدة نصيرآباد بعد صنوه الكبير القاضي محمد سنة خمس وتسعين وثمانمائة، استقل به سبعاً وثلاثين سنة، ثم اعتزل وهاجر من بلدته إلى رائ بريلي.

وسبب الهجرة على ما ذكره السيد نعمان بن نور النصيرآبادي في "أعلام الهدى": أنه كانت مناقشة فيما بين أولاد السيد نصير الدين النجمي النصيرآبادي في الإرث، وقد رفع إلى القاضي فقضى فيه بما ورد في الشرع فلم يتفقوا عليه، وقالوا: لا نرضى بذلك الحكم أبداً، فاعتزل القاضي وهاجر من تلك البلدة، وقال: إنها لا تصلح للإقامة، مات في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة ببلدة رائ بريلي، فدفن بها في سيد راجن، وتلك الحارة اشتهرت باسمه الشريف ذكره السيد الوالد في "سيرة السادات" (٧).

ثم في القرن الحادي عشر نشأ: "السيد الشريف العفيف ناصر السنة البيضاء، قامع البدعة الظلماء، عمدة العلماء الربانيين، وارث الأنبياء المرسلين الإمام الهمام الداعي إلى دار السلام السيد علم الله بن فضيل بن معظم بن أحمد بن محمود الحسني النصيرآبادي البريلوي، ولد في سنة ثلاث وثلاثين وألف ببلدة نصيرآباد، وقد شخص والده إلى الحجاز قبل ولادته، وتوفي بالمدينة، فتربى في مهد خاله أبي محمد بن محمد بن محمود النصيرآبادي، وقرأ العلم على ابن عمه خواجه أحمد بن إسحاق الحسني

النصيرآبادي ثم سافر مع خاله إلى دار الملك ورافقه زماناً للاسترزاق ، ثم تنحى عنه واعتزل ، ثم ارتحل إلى الشيخ آدم بن إسماعيل الحسني البنوري ولازمه مدة من الزمان ، وأخذ عنه الطريقة ، ونال حظاً وافراً من العلم والمعرفة ، فأراد أن يهاجر من الهند إلى البلد الطيب ، واستأذن شيخه فأذن له بشرط أن لا يمنعه أحد من عباد الرحمن ، فعاد إلى بلدة نصيرآباد واستصحب عياله مهاجراً إلى البلد الحرام ، فلما وصل إلى مدينة رائ بريلي على مسافة يوم واحد من نصيرآباد ، أقام بها للاستجمام ، وترويح النفس ، ولقي الشيخ عبد الشكور الجائسي فكان نزيلاً بها على شاطئ نهر "سئ" خارج البلدة ، فمنعه عبد الشكور ، وأمره أن يقيم في هذه البلدة ، وذكر ما أمره شيخه آدم فألقى عصاه ، و أقام على شاطئ النهر ، و كان ذلك المقام غير عامر فسكن بها ، و رحل إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيارة ، و لما عاد إلى رائ بريلي بنى المسجد بذلك المقام سنة أربع و ثمانين و ألف ، و قد عرض عليه عالمكير ابن شاهجهان صاحب الهند أقطاعاً من الأرض فلم يقبل ، و استأثر الفقر والفاقة ، توفي في تاسع ذي الحجة سنة ست وتسعين وألف" (٨) .

ثم في أعيان القرن الثاني عشر نبغ : "السيد الشريف" أبو سعيد بن محمد ضياء بن آية الله بن الشيخ الأجل علم الله البريلوي ، أحد العلماء الربانيين ، ولد ونشأ ببلدة رائ بريلي ، وقرأ العلم على ملاّ عبد الله الأميتهوي ، ثم بايع عمه السيد محمد صابر بن آية الله ، واشتغل بأذكار القوم وأشغالها مدة من الزمن ، ثم رحل إلى دهلي ولازم الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي وأخذ عنه ، ولما توفي الشيخ الدهلوي لازم صاحبه الشيخ محمد عاشق بن عبد الله البهلتي ، وأخذ عنه وكتب له محمد عاشق المذكور الإجازة ، وسافر إلى الحجاز مع أصحابه ، و وصل إلى مكة المباركة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة وألف ، فسعد بالحج وسافر إلى المدينة المنورة ، وأقام بها ستة أشهر وسمع "المصابيح" على الشيخ أبي الحسن السندي الصغير ، ثم رجع إلى مكة المباركة ، وقرأ

"الجزرية" على الشيخ محمد مير داد الأنصاري ، ورحل إلى الطائف ، ثم إلى الهند ، و دخل "مدراس" فأقام بها زماناً ، و رزق حسن القبول في تلك الناحية ، وانتفع به الناس وأخذوا عنه ، مات في تاسع رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ببلدة "رائ بريلي" فدفن بها" (٩) .

ومن نوادر الرجال في القرن الثالث عشر : "الشيخ الإمام المحدث قطب الهدى بن محمد واضح بن محمد صابر بن آية الله بن علم الله الحسني البريلوي ، أحد العلماء المبرزين في المعقول والمنقول ، لم يكن له نظير في زمانه في معرفة الفقه والحديث والعربية ، والإنشاء والخط ، ولد ونشأ ببلدة رائ بريلي ، وانتفع بوالده ، وتلقى منه ، ثم دخل لكناؤ ، وأخذ عن العلامة تفضل حسين الكشميري ، وعن غيره من العلماء ، ثم سافر إلى دهلي وأخذ الفقه والحديث عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله العمري الدهلوي ، واستنسخ الكتب النفيسة من خزانته ، وأخذ الطريقة عن الشيخ غلام علي العلوي الدهلوي ، ولازمه مدة ثم رجع إلى بلدته وعكف على الدرس والإفادة ، له تعليقات شتى على "صحيح البخاري" ، و "جامع الترمذي" ، و "عين العلم" ، و "سفر السعادة" وعلى غيرها من الكتب ، وله رسالة نفيسة في إثبات كفر فرعون المسمى بالجانب الشرقي في كفر فرعون الغرقي ، توفي لتسع عشرة خلون من ربيع الثاني سنة ست و عشرين و مائتين وألف" (١٠) .

ثم جاء الشيخ الفاضل الكبير إسحاق بن محمد عرفان بن محمد نور الشريف الحسني البريلوي أحد العلماء المشهورين ، سافر إلى لكناؤ فاشتغل بالعلم على أساتذتها زماناً ، ثم سافر إلى دهلي ، وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ عبد القادر بن ولي الله العمري الدهلوي وتفقه عليه وأخذ عنه الحديث ، ثم أسند عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله وبايعه وأخذ عنه الطريقة ، ثم رجع إلى رائ بريلي وتصدر بها للتدريس وتوفي بها لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف ، له مصنفات منها

"المائتان" في المواريث والحساب منظومة، وفيها مائتا بيت، وله شرح بسيط على تلك المنظومة وله قصائد بالعربية، ومنظومة بالفارسية جمع فيها أسماء أهل بدر" (١١).

وبرز فيهم السيد الإمام الهمام حجة الله بين الأنام، موضح محجة الملة والإسلام، قامع الكفرة والمبتدعين، ونموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين مولانا الإمام المجاهد الشهيد السعيد أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني البريلوي، كان من ذرية الأمير الكبير شيخ الإسلام قطب الدين المدني - السالف الذكر - ولد في سنة إحدى ومائتين وألف ببلدة رائ بريلي، واستشهد في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف في معركة "بالاكوت".

وقد كثرت المؤلفات في أخباره ومآثره وبسطت واختصرت بالعربية والأردية قديماً وحديثاً ما يغنى عن التعريف به (١٢).

وممن أدرك أمير المؤمنين السيد أحمد بن عرفان الشهيد السعيد وتمتع بصحبته وأخذ عنه الطريقة، جدُ الشيخ عبد الحي الحسني، وهو: "الأستاذ العارف عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي ابن عبد الرحيم بن هداية الله بن إسحاق الحسني الحسيني النصيرآبادي، أحد العلماء الربانيين ولد بنصيرآباد، ونشأ بها، وتلقى مبادئ العلم عن ابن عمه محمد بن الأعلى النصيرآبادي، ثم سافر إلى بلدة لكناؤ وأخذ عن أساتذتها، وأخذ الحديث عن السيد محمد علي الرامفوري، والطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وجمع العلم والعمل والزهد والتواضع وحسن السلوك، و وضع الله سبحانه له المحبة في قلوب عباده لما اجتمع فيه من خصال الخير فولاه أحد مرازبة "ناكود" من بلاد "بكهيل كهند" التدريس فدرس بها مدة، ثم ولي الإنشاء ثم العدل والقضاء وتحصيل الخراج، وكانت له اليد الطولى في صناعة الخط والشعر والصياغة و التذهيب، و غير ذلك من فنون أخرى، مات سنة تسع و ستين

ومائتين وألف بالفالج في "ناكود"، وله ثمان وأربعون سنة" (١٣).

ثم في القرن الرابع عشر جاء: "السيد الشريف ضياء النبي بن سعيد الدين بن غلام جيلاني بن محمد واضح بن محمد صابر بن آية الله بن الشيخ الكبير علم الله الحسني، ولد بمدينة رائ بريلي حوالي سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، وقرأ شيئاً نزراً من العلوم في بلدته، ثم سافر إلى دلهي راجلاً في عشرين يوماً وأدرك بها الشيخ أحمد سعيد وصنوه عبد الغني ابن أبي سعيد العمري الدهلوي، وأقام في زاوية الشيخ أحمد سعيد المذكور، وقرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا حبيب الله في سنتين، ثم استقدمه والده إلى بلده فأجابه ورجع ولبث عنده زماناً، ثم سافر إلى لكناؤ وأقام في مسجد دبير الدولة عند المفتي سعد الله المرادآبادي، وقرأ بعض الكتب الدرسية عليه وعلى غيره من العلماء، ثم رجع إلى الوطن وأخذ الطريقة عن السيد الشريف خواجه أحمد بن محمد يامين النصيرآبادي، وصحبه مدة من الزمن بنصيرآباد ثم رجع إلى بلدته وأقام بها مدة، ولما توفي السيد خواجه أحمد المذكور وشعر بحاجة إلى زيادة وتكميل لازم صاحبه الخواجه فيض الله الأورنغ آبادي اللكنوي وأخذ عنه الطريقة، توفي لخمس عشرة خلون من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن في مقبرة آبائه في الجهة الشمالية الغربية من المسجد" (١٤).

وتلاه السيد الشريف العلامة فخر الدين الحسني البريلوي والد الشيخ عبد الحي، وسياق نسبه هكذا: "فخر الدين بن عبد العلي بن محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي بن عبد الرحيم بن هداية الله بن إسحاق بن محمد معظم بن القاضي أحمد بن القاضي محمود الشريف الحسني النصيرآبادي، من سلائل الأمير الكبير شيخ الإسلام قطب الدين محمد بن أحمد المدني المدفون بمدينة "كره" (١٥)، وينتهي نسبه إلى محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحضَ بن الحسن "المثنى" بن الإمام الحسن السبط الأكبر، بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لذلك

اشتهرت الأسرة بالحسنية" ، أفاد به سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي حفيد السيد فخر الدين (١٦) .

قال الشيخ عبد الحي : "كان الشيخ علم الله يلحق بأجداده في محمد معظم بن القاضي أحمد بن محمود النصيرآبادي ، لأن محمد معظم له ولدان : إسحاق وهو من أجداد والدي ، وفضيل - مصغراً - وهو أبو علم الله ، وكان الشيخ علم الله جد السيد محمد تقي بن عبد الرحيم من جهة الأم وهو جد سيدي الوالد من جهة الأب ، وأما جد والدي من جهة الأم فهو السيد محمد ظاهر بن غلام جيلاني بن محمد واضح بن آية الله بن الشيخ علم الله" (١٧) .

قال الشيخ عبد الحي : "ولد السيد فخر الدين سنة ست وخمسين ومائتين وألف ببلدة رائ بريلي ، فنشأ بها وقرأ القرآن وتعلم الخط والحساب وقرأ الفارسية أياماً ، ثم رحل مع أبيه إلى "ناكود" ، وكان والده بها محصلا للخراج ومتولي القضايا من تلقاء الحكومة الإنجليزية ، فأقام بناكود مدة وقرأ المختصرات على والده ، وعلى المولوي علي بخش الجائسي ، والمولوي طه بن زين النصيرآبادي ، وبعض الكتب الطبية على الحكيم أحمد خان بن أبو جان الدهلوي - بتشديد الموحدة - ولما توفي والده سنة تسع وستين ومائتين وألف ، رجع إلى بلدته ، وقرأ شيئاً على جده لأمه السيد محمد ظاهر ولازمه مدة ، ثم سافر إلى لكناؤ سنة ثلاث وثمانين فتفقه على مولانا محمد نعيم بن عبد الحكيم الأنصاري اللكنوي ، وقرأ عليه "شرح الوقاية" و "مشكاة المصابيح" و "تفسير الجلالين" ، وقرأ "السديدي" و "النفيسي" و "شرح الأسباب" و "كليات القانون" و "حياتها" على الحكيم يعقوب اللكنوي ، ولازمه ثلاث سنين من ثلاث وثمانين إلى خمس وثمانين ، وأقبل على قرض الشعر ، وأخذ عن أمير الله اللكنوي المتلقب في الشعر بـ "تسليم" ثم رجع إلى بلدته ، ولازم السيد خواجه أحمد بن محمد ياسين النصيرآبادي ، وكان ابن خالة أبيه وزوج عمته ، وكان نسبه يتصل

بجدوده في السيد إسحاق بن أحمد بن محمود النصيرآبادي فأخذ عنه الطريقة ، وأجازه الشيخ بجميع مروياته ومقروءاته ، كما أجازه الشيخ سخاوت علي العمري الجونفوري ، والشيخ يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي سبط الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، والسيد محمد بن أعلى شاه النصيرآبادي، ومشايخه الآخرون .

ثم سافر للاسترزاق إلى "أودَيفور" و "حيدرآباد" و "بهوفال" و "طونك" وغيرها وأقام بحيدرآباد ثمان سنين ، وكذلك في بهوفال ، ثم اعتزل في بلدته في آخر عمره ، مات لعشر خلون من رمضان سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف ، ودفن في مقبرة آبائه في الجهة الشمالية الغربية من المسجد في زاوية جده الشيخ علم الله الحسني في رائ بريلي .

أما مصنفاته فهي كثيرة ممتعة أحسنها : "مهر جهانتاب" بالفارسية في ثلاثة مجلدات كبار ، كتاب عجيب لا يكاد يوجد مثله في كثرة الفوائد" (١٨).

و ورثه في العلم والأدب والدين والتأليف وحسن السيرة والسريرة نجله الفذ الفقيه المحدث المؤرخ الهمام الأديب الجهبذ العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني الرائ بريلوي ، مؤلف : "تهذيب الأخلاق" (١٩) .

[يتبع]

---

(١) في مسيرة الحياة : ص/٣٢-٤٠ ملخصاً .

(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : ٢١١/١-٢١٢ ملخصاً .

(٣) الإعلام : ٢٠/٢ .

(٤) الإعلام : ٤٥/٢ .

(٥) الإعلام : ١٢٤/٣ .

(٦) الإعلام : ١١٦/٣ .

(٧) الإعلام : ٢٥/٤-٢٦ .

(٨) نفس المرجع الآنف : ٣٠١/٥-٣٠٣ ملخصاً .

(٩) المرجع الآنف : ١٣٦ .

(١٠) المرجع الآنف : ٤٢٧/٧ .

(١١) المرجع الآنف : ٦٠٨/٧-٦١ .

(١٢) اقرأ ترجمته في الإعلام : ٣٢٨/٧-٣٧ ، وأفرد له سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي : "إذا هبت ريح الإيمان" و "الإمام الذي لم يوف حقه" بالعربية ، و "سيرة سيد أحمد شهيد" في مجلدين بالأردية ، وسبقه بالتأليف المؤرخ غلام رسول مهر ، فترجم له في مجلدين كبيرين .

(١٣) الإعلام : ٣١٢/٧ .

(١٤) الإعلام : ٢١٣/٨ .

(١٥) نفس المرجع الآنف : ٣٧٦/٨ .

(١٦) في مسيرة الحياة : ص/٢٨ .

(١٧) الإعلام : ٣٧٧/٨ .

(١٨) المرجع الآنف : ٣٧٦/٨-٣٨٠ ملخصاً .

(١٩) مصادر ترجمته :

١- أبو الحسن علي الحسني الندوي : حيات عبد الحي بالأردية دلهي ١٣٩٠هـ ، نونا ١٩٨٨م .

٢- الدكتور عبد العلي الحسني : التعريف بالمؤلف في أوائل معظم كتبه ، كالإعلام ، والثقافة الإسلامية في الهند ، والهند في العهد الإسلامي ، وتهذيب الأخلاق .

٣- الدكتور قدرة الله الحسيني : العلامة السيد عبد الحي الحسني عصره حياته ومؤلفاته بالعربية ، جلة ١٤٠٣هـ .

٤- خير الدين الزركلي : الأعلام : ٦٢/٤ ، الثانية في ١٣٧٦هـ .

٥- دائرة معارف إسلامية : ٨٥٥/١٢-٨٥٧ ، باكستان ١٣٩٣هـ .

٦- محمد إدريس النجرامي : تذكرة علماء حال ، لكناؤ ١٨٩٧م .

٧- السيد سليمان الندوي : ياد رفتكان : ص/٤٧-٥٠ ، كراتشي ١٩٨٣م .

٨- الدكتور شمس تبريز خان : تاريخ ندوة العلماء : ١٢٤/٢-١٦٨ ، لكناؤ ١٤٠٤هـ .

٩- أبو يحيى إمام خان نوشهروي : تراجم علماء حديث هند ، دلهي ١٣٥٦هـ .

١٠- ڈهارون رشيد الصديقي : حكيم سيد فخر الدين خيالي ، لكناؤ ١٤٠٦هـ .

التراث الحضاري الإسلامي في اللغة الأردية

الدكتور سيد رضوان علي الندوي [٥]

ندوة المصنفين :

ومن المؤسسات العلمية التي اهتمت بالبحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية "ندوة المصنفين" بدلهي ، وقد أنشأها خريجو دار العلوم ديوبند من كبار العلماء في سنة ١٩٢٩م على غرار "دار المصنفين" ، ومن مؤسسيها مفتي عتيق الرحمن عثماني ، وحفظ الرحمن سيورهاروي ، وسعيد أحمد أكبرآبادي ، وكان يلتحق بها الباحثون كما كان في دار المصنفين ، لهم مكاتب عمل ، ومكتبة قيمة .

وقد أخرج هؤلاء وغيرهم مؤلفات علمية إسلامية بالأردية ، ومن أشهرها القصص القرآنية للشيخ حفظ الرحمن سيورهاروي في أربعة مجلدات ، وكتب أخرى له عن نظام الاقتصاد في الإسلام ، وعن النظام السياسي فيه وغير ذلك ، ومن مؤلفات سعيد أحمد أكبرآبادي الذي كان أستاذاً للدراسات الإسلامية في جامعة عليكره وغيرها من المؤسسات التعليمية الكبرى ، كتاب: "الموالي في الإسلام" و "حقيقة الرق في الإسلام" وغيره من الكتب في عدد من الموضوعات الثقافية الإسلامية ، ومن منشوراتها ترجمان السنة في أربعة أجزاء ، وتاريخ الأمة في ٨/أجزاء ، ومن أهم ما صدر عن ندوة المصنفين كتاب : "لغات القرآن" في ستة أجزاء للشيخ عبد الرشيد النعماني وهو معجم لألفاظ القرآن الكريم ومعانيها باللغة الأردية ، ونشرت هذه الندوة أكثر من مائة كتاب علمي في العلوم الإسلامية المختلفة والتي تعتبر كمراجع للباحثين ، وهي لا تزال تؤدي دورها في الهند في حدود إمكانياتها ، و تصدر عنها مجلة علمية شهرية باسم :

"برهان" ، وهي مثل : "معارف" في المستوى العلمي .

إدارة الثقافة الإسلامية - لاهور :

وعلى نمط المؤسستين العلميتين الآنفتي الذكر أنشئ في الباكستان في أواخر الخمسينات من هذا القرن الميلادي مجلس للبحث العلمي والتأليف والنشر باسم : إدارة ثقافة إسلامية في مدينة لاهور ، وهي مؤسسة شبه رسمية وكان رئيسها الأول المرحوم خليفة عبد الحكيم الباحث المؤلف المشهور في باكستان ، ومن العاملين فيها كان الشيخ محمد حنيف الندوي ، والشيخ جعفر شاه الندوي ، ورئيس أحمد جعفري ومحمد إسحاق بهتي وغيرهم ، وقد ألف هؤلاء عشرات الكتب في مختلف الموضوعات التاريخية والفقهية وقضايا العصر وأنظمة الإسلام ، وقد صدر عنها أكثر من مائة كتاب ومن أشهرها سلسلة كتاب آب كوثر ، و رود كوثر ، وموج كوثر في ثلاثة أجزاء وهو لمؤلفه محمد إكرام ، مدير هذه الإدارة ، وهو كتاب في التاريخ الثقافي الإسلامي في شبه القارة الهندية عبر العصور حتى العصر الحديث ، على نمط سلسلة فجر الإسلام وضحى الإسلام للمرحوم أحمد أمين ، وقد طبع أكثر من عشر طبعات ، وأصدرت هذه الإدارة مجلة علمية شهرية باسم : "ثقافت" تهتم بقضايا العصر ومشاكلها ، وتقديم حلولها في ضوء الإسلام ، وهي لا تزال تصدر ، ولكن باسم جديد أي "المعارف" (بالألف واللام للتعريف ، خلافاً لمعارف الهندية) .

وفي باكستان مؤسسات علمية عديدة أخرى تُعنى بالبحث والتأليف والنشر في مجالات مختلفة للعلوم الإسلامية ، ولكنها ليست في المستوى الذي ذكرناه ، و لكن لابد من ذكر شخصية علمية كان في ذاته مؤسسة علمية كبرى ، وهو المرحوم الأستاذ السيد أبو الأعلى المودودي .

السيد أبو الأعلى المودودي :

السيد أبو الأعلى المودودي [م ١٩٧٩م] من العبقريات الفذة في العالم الإسلامي في هذا القرن ، وهو أيضاً من أشهر الباكستانيين في العالم العربي

لبحوثه الإسلامية ومؤلفاته العديدة المترجمة إلى العربية .

وكان من بيت علم وتصوف ، وبدأ حياته كصحافي ومؤلف في التاريخ الإسلامي في دلهي ، ثم في مدينة حيدرآباد (الدكن) الهند ، ونبغ مبكراً ، وقد أصدر كتاباً كبيراً عن الجهاد في الإسلام وعمره إحدى وعشرين سنة ، ثم بدأ بإصدار مجلة إسلامية باسم : "ترجمان القرآن" من حيدرآباد الدكن في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي ، وببحوثه المبتكرة وعرض الإسلام في ثوب فكري جديد لفت أنظار العلماء ، وشباب الجامعات العصرية إليه ، والتف حوله المهتمون بالدعوة الإسلامية ، وأنشأ جماعة للدعوة الإسلامية ، باسم : "جماعت إسلامي" ، والتي لا تزال قائمة في باكستان والهند ، وفي باكستان لها شأن سياسي كبير ، ولكن لا يهمنا نشاطات الأستاذ المودودي السياسية والدعوية ، وإنما نريد أن نشير إلى أعماله العلمية .

وقد نشر للأستاذ أبي الأعلى المودودي نحو خمسين كتاباً في مختلف المواضيع الإسلامية وقضايا العصر القومية والسياسية والاقتصادية ، وكان بحق المفكر الإسلامي النابغة في هذا العصر ، يعالج المشاكل المعاصرة ويقدم لها حلولاً إسلامية ، كما يعرض الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها للجيل المعاصر في لغة عصرية جديدة وأسلوب جديد ، وقد تأثر بعمق تفكيره الإسلامي ومنهج عرضه المفكر الإسلامي الشاعر محمد إقبال ، فدعاه في سنة ١٩٣٨م إلى أن يتخذ إقليم البنجاب في شمال الهند مركزاً لدعوته الإسلامية ، فانتقل إلى بلدة صغيرة فيها ، وبعد تقسيم البلاد إلى الهند وباكستان ، انتقل إلى مدينة لاهور واتخذها مركزاً له ولجماعته .

وعلى الرغم من نشاطه المستمر في ميدان الدعوة الإسلامية ، وجهوده المتواصلة لإقناع الحكومات الإسلامية في باكستان لاتخاذ الكتاب والسنة أساساً للدستور الإسلامي ، والعمل المستمر في هذا المجال مع العلماء الآخرين ، وتنظيم أعمال الجماعة الإسلامية سياسياً واجتماعياً ، على الرغم من ذلك كله ظل ينتج مؤلفات جديدة ، والتي أصبحت من أهم التراث

الإسلامي في الأردية، وأثرت تأثيراً بالغاً في عقول وقلوب عامة المثقفين، وخاصة طلبة الجامعات، والمثقفين بالثقافة العصرية الغربية من الأطباء والمهندسين والمحامين وأساتذة الجامعات.

وحظيت مؤلفاته بالتأثير والقبول في الأوساط المحلية وخارج البلاد لاطلاع صاحبها العميق والواسع على العلوم الإسلامية العربية الأصيلة من تفسير وحديث وفقه وكلام من جهة وعلى الثقافة الغربية وفلسفاتها وعلومها من جهة أخرى، وتمتاز كتاباته بالنقد العقلي للحضارة الغربية وعلمانيتها، وعدم جدواها في إسعاد البشرية.

ومن أهم كتبه التي طبعت مراراً وتكراراً "تفهيمات" وتنقيحات، وسود (أي الربا) و يرده (أي الحجاب الإسلامي)، والنظام الاقتصادي في الإسلام والنظام السياسي في الإسلام، والخلافة والملكية، ورسائل ومسائل (أجوبة للاستفتاءات الدينية والعلمية) وغيرها، وقد ترجم الكثير منها إلى العربية، وطبع عدة مرات، وخاصة كتب: (الربا، و الحجاب، و الخلافة والملكية).

ولكن أهم أثر علمي له على الإطلاق، وأكثره انتشاراً، تفسيره للقرآن الكريم باسم: "تفهيم القرآن الكريم" في ستة مجلدات، مع ترجمة معانيه ترجمة حرة، وقد استغرق هذا العمل ثلاثين سنة، من سنة ١٩٤٢-١٩٧٢م، وكان ينشره تباعاً كل شهر في مجلته ترجمان القرآن، وقد أكمل القسم الأكبر منه في السجن مرتين عندما سجنته الحكومة لنشاطه ضد القاديانية وضد الحكومة في قضية المطالبة بالدستور الإسلامي للبلاد، ويمتاز تفسيره - وهو في نحو أربعة آلاف صفحة - بفهارس الموضوعات التفصيلية في كل جزء، والتحقيقات العظيمة الفريدة في الموضوعات التاريخية والأماكن المذكورة في القرآن الكريم، فقد زار المناطق المذكورة فيه في شمال جزيرة العرب وفلسطين وسيناء ومصر، وقدم الخرائط والصور للآثار الموجودة للشعوب المذكورة في القرآن، وكذلك أبحاثه وتحقيقاته في المسائل الفقهية والاجتماعية،

وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية.

محمد إقبال وأثره في الفكر الإسلامي:

من أشهر الشخصيات الباكستانية في داخل البلاد وخارجها الشاعر والمفكر الإسلامي المعروف الدكتور محمد إقبال [١٨٧٧-١٩٣٨م]، وقد كتب عنه عدد من الكتاب العرب أمثال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ الدكتور نجيب الكيلاني وسماحة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي وغيرهم، كما ترجم بعض دواوينه الشعرية، ومنظوماته وقصائده الدكتور عبد الوهاب عزام، والشاعر المصري صاوي شعلان شعراً، ولكن أروع ترجمة لقصائده وأحسن عرض لفكره وفلسفته ما كتبه العلامة الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الندوي في كتابه: "روائع إقبال" نثراً.

لقد درس إقبال في جامعة بنجاب، وجامعة كيمبردج بإنجلترا، وجامعة لندن، وأخذ الدكتوراة من جامعة ميونيخ كما أخذ شهادة المحاماة العالية (Bar at Law) من لندن وغاص في أعماق الفلسفة الغربية، وكان قد درس الفارسية والعربية قبل أن يأخذ شهادة الماجستير، وكان شاعراً مطبوعاً، ولكنه استخدم شعره لبث آرائه الفلسفية الفكرية الإسلامية، ولعرض حقائق الإسلام، وقد اخترع لأفكاره لغة وتعابير شعرية خاصة، خلافاً للشعراء التقليديين، ذات تأثير غريب في أعماق القلوب، ولم يخدم شاعر الإسلامَ بشعره كما خدمه محمد إقبال، وكان أهم خدمة أسداها للمسلمين في شبه القارة الهندية هي أنه أوجد في نفوسهم وخاصة الشباب المثقف الذي كان ينجرف مع تيار الغرب، أوجد شعور الاعتزاز بالإسلام، و الثقة بالنفس والتراث الإسلامي، والقيم الفكرية والخلقية، وبعبارة أخرى جذبهم إلى الإسلام من الإلحاد والعلمانية التي كان التعليم الغربي الإنجليزي بنشرها فيهم.

وكثير من دواوينه الشعرية بالفارسية ولكن الكثير أيضاً في الأردية، وكاد يهجر الأردية ويعبّر عما يجول بخاطره في الشعر الفارسي فحسب

لطواعية اللغة الفارسية عن التعبير بالمعاني المجردة الفكرية ، ولكنه بنصيحة بعض رفاقه المخلصين ظل يقرض الشعر في الأردية أيضاً ، ومن دواوينه الشعرية بالأردية "بال جبريل" (جناح جبرئيل) و "ضرب كليم" و "بانك درا" (صدى جرس القافلة) - بالإضافة إلى قصائد أخرى في بعض دواوينه الفارسية ، مثل مجلس شورى لإبليس في ديوانه الفارسي "أرمعان جحاز" ، ومن أشهر قصائده المثيرة للفكر والعاطفة ، والمؤثرة في النفس "مسجد قرطبة" و "ذوق وشوق" ، نظمهما على التوالي خلال زيارته لقرطبة وفلسطين في عام ١٩٣٦م ، ومنها أيضاً قصيدة "طلوع إسلام" و "ساقي نامه" ، أما أشهر قصائده الطويلة وأكثرها انتشاراً لدى الخاصة والعامة فهي "شكوى وجواب شكوى" ، قدم فيها شكوى المسلمين إلى اللّه سبحانه وتعالى عما هم فيه من التخلف والذل والاحتقار ، وهجران اللّه لهم رغم خدمتهم لدينه .

ثم الرد الإلهي بلسان الشاعر عليهم ، وما اقترفوه من الآثام ، وأحدثوه من البدع ، وما وقعوا فيه من الخرافات والخزعبلات والإشراك باللّه ، ونكرانهم لرحمة اللّه تعالى ، واستظهر هذه القصيدة الكبار والصغار من المسلمين ، واستشهدوا بأبياتها في خطبهم ومواعظهم لسنين طويلة في حياة المؤلف وبعد مماته .

ومن الجدير بالذكر أن من دواوينه التسعة ، ثلاثة فقط بالأردية ، وأولها "بانك درا" ، وفيه الكثير من شعره الغزلي في شبابه ، ولا شك أن شعره أهم تراث فكري إسلامي باللغة الأردية ، وله أيضاً كتاب بالإنجليزية ، ترجم إلى العربية باسم : "تجديد الفكر الديني في الإسلام" وهي محاضرات ألقاها بدعوة من مسلمي مدراس بالهند ، ولكن أفكاره عن التوحيد ، والنبوة ، والقرآن ونقده للحضارة الغربية ، وعرضه لرسالة الإسلام ومحاسنه ، لا يوجد كل ذلك بصورة قوية ومؤثرة إلا في شعره .

الشيخ أشرف علي التهانوي وأثره في التربية الدينية الروحية :

ومن دار العلوم أو جامعة ديوبند (في الهند) تخرجت شخصية عظيمة فذة جمعت بين كثرة التأليف ، و تربية النفوس تربية روحية ، و إصلاح المجتمع ، وهي شخصية الشيخ أشرف علي التهانوي [١٨٦٣-١٩٤٣م] ، ولقد خلف هذا الشيخ العالم النابغة التقي الصالح من أولياء اللّه مكتبة كاملة عن الإسلام من تأليفه ، إذ كان من المكثرين في التأليف ، وقد قيل : إنه ترك من الكتب والرسائل بالأردية نحو ثمانمائة في مختلف الموضوعات الإسلامية من العقائد والعبادات والمعاملات والتصوف والأخلاق وغير ذلك .

وكان أثر مؤلفاته عظيماً بين عامة المسلمين بصفة خاصة في إصلاح عقائدهم وتخليصهم من البدع والخرافات ، لأنها كتبت بلغة سهلة مبسطة ، وقد كتب أيضاً للخاصة ، ولا يوجد في المكتبة الأردية كتاب واحد عن الإسلام يجمع بين عقائده وعباداته ومعاملاته وكل ما يحتاج إليه المرء في شئون حياته من الأوامر والنواهي والمندوبات بأسلوب مبسط غير كتابه الموسوم بـ "بهشتي زيور" (أي حلية الجنة) في أحد عشر جزءاً ، وقد طبع عشرات المرات ، ومئات الألوف من النسخ ، ولا يزال يطبع ، ويستفيد منه الرجال والنساء على السواء ، ولعله الكتاب الوحيد يُعطى مع القرآن الكريم في جهاز العروس في شبه القارة الهندية كلها .

أما مكانته الروحية فيكفي لتقديرها أن بعض كبار علماء عصره مثل السيد سليمان الندوي والأستاذ عبد الباري الندوي وغيرهما قد اتخذوه مرشداً روحياً لهم ، ودخلوا في حلقة مريديه الذين يبلغون عدة آلاف ، ومنهم كثير ممن تثقفوا بثقافة غربية عالية ، وشغلوا وظائف حكومية كبرى .

[للحديث صلة]

☆☆☆

إثبات وفرة الموارد

بقلم : فضيلة الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

تطالعنا بعض وكالات الأنباء من بين حين وآخر بأن مواردنا الطبيعية بكافة صورها وأشكالها والتي هي شريان الحياة للبشرية على وشك النضوب ، وأن موجات الجفاف تجتاح دولاً كثيرةً من العالم وأن عدد الدول التي يعيش سكانها تحت خط الفقر في تزايد مستمر ، وتصور لنا أعداداً من هؤلاء السكان عرايا في صورة هياكل عظمية ، وقد افترسهم المرض وأنهكهم الفقر وغلبهم الجوع ، يفترشون الأرض ويلتحفون بالسماء ، مجتمعين حول قصعة من الطعام لا تسمن ولا تغني من جوع ، كما تنبئنا بأننا على وشك أزمة غذائية طاحنة ، وأن القرن القادم سيشهد حروباً ضاريةً تبيد الأخضر واليابس من أجل البقاء والبحث عن الغذاء و سبل المعيشة .

وعلى العكس مما نسمعه ونقرأه وتعلنه علينا هذه الوكالات التي لا تكل ولا تمل من أن تحذرنا ليل نهار بسوء عاقبتنا ، تشير آيات عديدة من القرآن الكريم إلى وفرة كل مستلزمات الحياة في الكون وكفايتها لإشباع احتياجات جميع المخلوقات التي عاشت وتعيش على سطح البسيطة منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة ، قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين * و تجعلون له أنداداً * ذلك رب العالمين * و جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام * سواء للسائلين ﴾ [سورة فصلت ، الآيتان : ٩-١٠] أي أن الله جلّ شأنه حين خلق الأرض بارك فيها وقدر فيها أقواتها وأودع في بطنها

وعلى ظهرها من الخيرات التي تجعلها مهيأة لتخرج لكل من يولد عليها من الأحياء رزقه وقوته الذي يكفيه الحياة اللائقة به ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد مكّناكم في الأرض * وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٠] .. (١) .

ومن الإعجاز الرباني أن حاجيات البشرية من هذه الموارد وغيرها مقدرة سلفاً ، قال تعالى : ﴿ وخلق كل شئ فقدّره تقديراً ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢]، ولا يخشى أحد من نفادها ، فما من شئ من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عند الله خزائنه ، قال الله تعالى : ﴿ وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٢١] والتنزيل والإنزال بمعني الإنشاء والإيجاد كقوله تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦] ، وقوله : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ [سورة الحديد ، الآية : ٢٥] ، وقيل الإنزال بمعني الإعطاء وسماه إنزالاً لأن أحكام الله تتنزل من السماء .. (٢) ، وفي الحديث القدسي : "يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق وخزائني ملآى لا تنفد أبداً" .. (٣) ، كما أخبرنا المولى عزّوجل : إنه ضمن الرزق لجميع عباده وتكفل به بل تكفل بأرزاق كافة المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها سواء كانت في البر أو البحر أو السماء ، قال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [سورة هود ، الآية : ٦] ، وكل ما يتحرك على الأرض من إنسان أو حيوان أو زاحفة أو هامة فهو دابة وما من دابة من هذه الدواب التي تملأ الأرض وتكمن في باطنها وتختفي في دروبها ومساربها ما من دابة من هذه الدواب التي لا يحيط بها حصر ولا يكاد يلم بها إحصاء إلا وعند الله علمها وعليه رزقها ، وقد أوجب الله سبحانه وتعالى على نفسه مختاراً أن يرزق هذا الحشد الهائل الذي يدب على هذه الأرض فأودع بها القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات جميعاً ومنح هذه المخلوقات القدرة على الحصول على رزقها من هذا المودع في أي من صور إنتاج الرزق وإعداده .. (٤) .

وقد أفرد المولى عزّوجل نفسه برزق العباد جميعاً، قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨]، قال ابن عباس وأبو الجوزاء: أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها وقيل المعني ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم .. (٥)، فلا أحد غير الله يملك أن يرزق العباد ولا أحد من العباد يملك لأحد رزقه والله يرزق الجميع بمشيئته، والذي يدل أيضاً على أنه لا رازق غير الله، قوله الحق في سورة فاطر، الآية: ٣: ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه * بل لجّوا في عتو ونفور ﴾ [سورة الملك، الآية: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ الله الذي خلقكم ثمّ رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤٠].

ولذلك أرشدنا المولى عزّوجل ألا نطلب الرزق من أحد غيره، قال تعالى في سورة العنكبوت، الآية: ١٧: ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ توجهنا الآية الكريمة إلى الله لطلب الرزق منه وحده لا من عند غيره فإن غيره لا يملك شيئاً، فصرفوا رغباتكم في الرزق إلى الله فإياه فأسالوه وحده دون غيره، وفي الحديث القدسي عن أبي ذر ﷺ عن النبي الكريم ﷺ، قال فيما روى عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم

وإنسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" [رواه مسلم] .. (٦).

كما أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان ما يسميه رجال الاقتصاد بعناصر الإنتاج من أرض بما فيها من كنوز ومعادن وثروات وأنهار وبحار وأيد عاملة وسماء وليل ونهار ونجوم وكواكب وقمر وشمس، قال تعالى في سورة لقمان، الآية: ٢٠: ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض ﴾، وقوله في سورة الزخرف، الآية: ٣٢: ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾، وقوله في سورة نوح، الآية: ١٢: ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ﴾، وقوله تعالى في سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤: ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض * وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم * وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره * وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخر لكم لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها * إن الإنسان لظلوم كفار ﴾، وما زالت وستزال هذه المسخرات مليئة بالثروات والطاقات التي لم تستخرج بعد وكشفت عنها الأبحاث والصور الاستكشافية، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقط عثر على معدن النحاس ومعدن المنجنيز والكوبالت المشع في قاع المحيط الهندي، والتقديرات الأولية تؤكد أن منطقه وسط المحيط الهندي فقط، تضم ستة عشر ألف طن من هذه المعادن يمكن إخراجها إلى سطح الأرض في المرحلة الأولية من بداية الاستغلال، وإن قاع المحيط الهندي بأكمله يحتوي على ألف بليون طن من الخامات، وإن المساحات الشاسعة في أعماق الماء تضم ثروات من البترول

والغاز الطبيعي والمعادن والمصادر الغذائية كالأسماك والأعشاب ، وبمقارنة بسيطة بين ما تحويه البحار من معادن مع الأرض نجد الآتي : إن البحار تحتوي على ١٨/بليون طن ألمنيوم بينما الأرض لا تضم غير ٣٦/بليون طن ، بالبحار ٨/ملايين طن خام ذهب ، وبالأرض ١٥٠/ألف طن ، خام الحديد بالبحار والمحيطات ١٤٨/بليون طن ، ويرتفع رقم الأرض إلى ٧١٠/بلايين ، خام اليورانيم ٦/بلايين طن في مياه البحر مقابل ٢٩/مليون في الأرض ، خام المنجنيز ١٦٤/بليون طن في المحيطات والبحار ، وفي الأرض ٢٤/بليون فقط ، وتقول دراسة أخرى أن كل كيلومتر مربع من مياه البحار يحتوي ٢٧/مليون طن من مواد الصوديوم والكلور والمغنيسيوم والذهب والرصاص والزئبق والكوبالت المشع ، وإن احتياطي النيكل والنحاس والكوبالت في قيعان البحار يصل إلى ١٥٠٠/بليون طن تقريباً ، وإن احتياطي البترول تحت سطح الماء في العالم يبلغ ١٦٠/ألف مليون برميل زيت خام فضلاً عن الاحتياطي الهائل من الغاز الطبيعي في الجروف القارية وحدها دون الأعماق .. (٧) ، هذا فضلاً عن أن الثروات الظاهرة على سطح الأرض والموجودة أمامنا لم تستغل الاستغلال الأمثل لها بعدُ ، والطريف في ذلك أننا نجد توافر هذه الثروات في أشد الدول فقراً ، فالسودان يعد من أفقر دول العالم على الرغم من وجود ملايين الهكتارات من الأراضي الصالحة للزراعة بها ، القادر وحده على توفير كميات غذائية هائلة بالإضافة إلى وجود ٥٠/مليون رأس من الماشية بها ، وما يقال على السودان يقال على الصومال حيث تمتلك هي الأخرى موارد طبيعية في مجال الزراعة ، والثروة الحيوانية لم تستغل بعد .. (٨) ، وما ينطبق على السودان والصومال ينطبق على سائر دول القارة الإفريقية ، فعلى الرغم من أن معظم دول قارة إفريقيا متخلف اقتصادياً ويعاني سكانها الفقر والتخلف الحضاري إلا أن لديها من الإمكانيات والطاقات العظيمة الكامنة في مواردها الطبيعية والبشرية ما ينطبق عليه قول الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ ☆ و المـــاء فوق ظهورها محمولاً

فما تحمله هذه القارة فوق وتحت سطحها من ثروات وطاقات لم ينتفع أهلها منها ، حتى بعد خروج المستعمر منها بقي هو المنتفع الأكبر والمسيطر على معظم الإنتاج وأسواقه الدولية ، فعلى سبيل المثال تمتلك إفريقيا ١٧٪ من مجموع الأراضي الزراعية في العالم ، ولا يزال الكثير من أهلها يعانون الجوع ونقص الغذاء ، كما تمتلك ٣٢٪ من مناطق الأعشاب والمراعي ونصيب الفرد الإفريقي من مواشي هذه المراعي يعادل سبعة أضعاف نصيب الفرد في أوربا ، وعلى الرغم من تلك المساحات الواسعة من الأراضي الزراعية في إفريقيا إلا أن مساهمتها في الإنتاج الزراعي العالمي لا يتعدى ٤٪ فقط ، كما تمتلك إفريقيا كميات كبيرة من احتياطي المعادن في العالم ففيها من الكروم والكوبالت ما يعادل ٩٠٪ من احتياطي العالم ، وهناك ٥٠٪ من احتياطي النحاس والذهب والماس ، ومن ١٥٪-٣٠٪ من معادن البوكسايد والحديد والمنجنيز والفوسفات والبترول ، وتمتلك إفريقيا ٦١٪ من إجمالي جمال العالم ، و ٤٣٪ من الأغنام ، و ٣٦٪ من المعز ، و ٥،٥٪ من الخيول ، و ١،٣٪ من الماشية . ويلاحظ أن المعادن التي اكتشفت فعلاً ويجري حالياً إنتاجها تساهم بحوالي سبع ما ينتج منها في العالم ، ولذلك تعتبر إفريقيا كنزاً عظيماً لأنواع المعادن ، وبكميات كبيرة ، وسوف تلعب دوراً مهماً في اقتصادياتها في المستقبل ، كما تحتوي إفريقيا على ٢٣٪ من الطاقة الكهربائية في العالم ، والتي لم يستغل منها سوى ١،١٪ ، هذا بالإضافة للبترول والغاز الطبيعي في شمالها وغربها والذي تتزايد الكميات الناتجة منه يوماً بعد يوم .. (٩) كل هذا يدل دلاله قاطعة على أن الكرة الأرضية ما زالت وستزال مليئة بالخيرات ومكتنزة بالثروات والنعم مع العلم بأن المنتج الحالي منها يكفي ويزيد عن حاجة البشرية ، وهذا ما تؤكده تقارير المنظمة العالمية للأغذية والزراعة حيث تؤكد أن إمكانيات الكرة الأرضية تستطيع بقدرات علوم العصر توفير أسباب الحياة الصحيحة لسبعة أضعاف أحياء القرن العشرين .. (١٠) ، وقد أثبتت الدراسات أن العالم بوضعه الراهن ينتج من الأغذية ما يزيد بنسبه ١٠٪ على ما يكفي لإطعام

سكان الكرة الأرضية كافة ، وأكدت دراسة أخرى أن الأرض يمكنها أن تنتج أربعة أضعاف المؤن الحالية وتغذى جميع سكانها عام ٢٠٠٠م .. (١١) ، ولذلك فمن الخطأ أن نقول أن هناك نقصاً في الموارد أو أن أسباب الحياة قد نضبت أو أن الأرض لا تحمل حلاً لمشكله الغذاء فالمشكلة أذن ليست مشكلة نقص موارد ، فالموارد وبفضل الله كما ذكر سالفا وفيرة وبكثرة تزيد عن حاجتنا .

هذا على وجه العموم أما على وجه الخصوص فقد بشر الرسول الكريم ﷺ الأمة الإسلامية بالغنى الدافق والأمن الغامر والرفاهية الشاملة : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٣] ، روى الإمام البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم الطائي : أنه كان عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه أخر فشكا إليه قطع السبيل ، وكان عدي قد وفد على النبي ﷺ ليدخل في الإسلام ، وخشي النبي ﷺ أن يفت في عضده ويثبطه عنه ما يرى من ضعف أهله وفقرهم وعدم انتشار الأمن في أرضهم ، حينذاك فألقى إليه بالبشارات المذكورة في الحديث ترغيباً وتثبيتاً ، فقال : يا عدي ! هل رأيت الحيرة ؟ (بلد قديم بأرض العراق كان يحكمه المناذرة من العرب) ، قل : لم أرها وقد أنبئت عنها ، قل : إن طالت بك الحياة لترين الظعينة (المرأة المسافرة) ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، وفي رواية : لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير .

قال عدي راوي الحديث : قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيء (الدعار قطع الطريق) الذين قد سعروا البلاد (سعروا أي أوقدوا النار) يعني إنه استبعد في وقته أن ينتشر الأمان إلى الحد المذكور وهو يعرف من دعار قبيلته وحدها وقطاع الطريق منها ممن خوفوا العباد وأوقدوا نار الفتنة في البلاد .

وأكمل النبي - عليه الصلاة والسلام - حديثه فقال : ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قل : كسرى بن هرمز ؟! قال كسري بن هرمز :

ولئن طالت بك حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ (يخرج ملء كفه) يعني ما بشر به من فيض الغنى وفقدان الفقر .

وقد تتابعت الأحاديث النبوية بكثرة تنبئ بالغنى الذي سيفيض على الأمة فيضاً حتى ينعدم بينها من يستحق الصدقة ، ولا شك أن النص على ذلك من رسول معصوم لا ينطق عن الهوى أمر له دلالته وإيحاؤه حيث إن هذا الغنى يتنافى مع حدوث عجز أو نقص أو نضوب في الموارد مما يؤكد على أنه لم ولن يحدث نقص أو انعدام للموارد ، روى البخاري وغيره عن حارثة بن وهب الخزاعي ، قال : سمعت النبي الكريم ﷺ ، يقول : "تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها ، يقول الرجل : لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها" ، و روي أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي الكريم ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه : لا أرب لي" ، وروى أيضاً عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحداً يأخذ منه" .. (١٢) ، هذه الأحاديث تدل على أن الأرض ستظل والى يوم القيامة مليئة بالثروات والموارد والخيرات كما أن هذه المبشرات لا تتحقق إلا في وجود وفرة في الموارد والخيرات والأقوات ، وهذا ما نبتغي إثباته.

---

(١) القضاء والقدر في الإسلام -فاروق دسوقي : ج/١ ، ص/٤٢٧ ، ومشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام يوسف القرضاوي : ص/٣٧ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن -لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري -للقرطبي : ج/١٠، ص/١٤-١٥.
(٣) جريدة "الوعي الإسلامي" ع/٤٣٨ ، الخميس ، ٢١/ذي القعدة عام ١٤١٠هـ الموافق ١٤/٦/١٩٩٠م .
(٤) مشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام - يوسف القرضاوي : ص/٣٨ ، وفي ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٤ ، ص/١٨٥٦ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن -للقرطبي : ج/١٧ ، ص/٥٦ .
(٦) في ظلال القرآن - سيد قطب : ج/٢ ، ص/٩٣٥ .
(٧) مجلة الحرس الوطني ، ع/٩٣ ، ذو القعدة عام ١٤١٠هـ الموافق يونيو ١٩٩٠م .
(٨) مجلة الشاهد ، السنة السادسة ، ع/٦٣ ، نوفمبر عام ١٩٩٠م .
(٩) إفريقية دراسة عامة وإقليمية ، أحمد نجم الدين فليجه : ص/٢٢١-٢٥٢ .
(١٠) لا للفقر ، في ظل القرآن - أحمد سعيد : ص/٩ .
(١١) مجلة رسالة الجهاد ، ع/٨٧ ، مايو عام ١٩٩٠م.
(١٢) مشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام - يوسف القرضاوي من ص/١٣٥ إلى/١٤٠ .

أهمية علم الكيمياء والفيزياء

[٢]
فضيلة الشيخ محمد شهاب الندوي
الأمين العام للإكاديمية الفرقانية ، بنغلور (الهند)

نظرة إلى علم الكيمياء :

بعد هذا الاستعراض لعلم الفيزيه وخطورته نعود إلى علم الكيميه ونتكلم عنه بشئ من التفصيل ونلقي الضوء أولاً على الوجهة الأساسية في هذا العلم قديماً وحديثاً ، وبذلك يتضح الفرق والتفاوت بينهما ، لقد كان في القديم هدفه الأساسي هو تحويل الفلزات الرخيصة إلى الذهب والفضة، وعلى عكس منه فإن اليوم هو تقليب الأشيه وصورها واستخدام طاقاتها السرية بعد دراسة خصائصها وفحص تأثيراتها التي أودعها خالقها وبارئها فيها ، منذ بداية الخلق والإبداع ، وهي التي عرفها الخليفة الأول على وجه الأرض ليكون على خبرة منها .

وتعريف هذا العلم هو : دراسة المادات المتواجدة على الأرض - أي الأشيه الكونية - رالفحص عن خواصها الطبيعية التي تتوافر في المظاهر والتي تكوّن العالم المادي ، ودراسة وبحث عن سلوكياتها وتفاعلاتها في الأحوال المختلفة (١١) .

وتعريف آخر : هو دراسة خصائص المادات وتفاعلاتها التي تحولها إلى مادات أخرى .

What is chemistry? we can define it as the study of the properties of substances and of the reaction that transform them into other substances. (12)

تعريف آخر : هو علم المادات (الأشياء) التي تحيط بنا من الهواء والماء والصُخور والأشجار والمواد الحيوانية ، ومعظم الكيمياء يتضمن بهذه المواد وتغيراتها التي تتحملها ، على أن هذا العلم يحمل جانباً مقدارياً يتعلق

بأوزان هذه المواد وتقدير خواصها ، وهذا المظهر المقداري ما زال ولا يزال يؤدي دوره الهام في الكيميه الحديث .

Chemistry is the science of the materials around us, such as air, water, rocks and plant and animal substances. Much of chemistry involves describing these materials and the changes they undergo. However, chemistry also has a quantitative side concerned with measuring and calculating the characteristics of materials. This quantitative aspect, and continues to play, an important roll in modern chemistry. (13)

فإن الكيميه - كما اتضح بهذه التعريفات - هو علم المواد وتفاعلاتها وتحولاتها وخصائصها ، وهذا العلم قد حدث بشكله الجديد في القرن الثامن عشر حينما صار الميزان متداولاً كأداة الفحص والتحقيق بنظام ونسق ، فلقد اخترعت اليوم موازين حديثة محيرة تزن كل شئ بكل دقة وحتى الذرة العنصرية (Atom) ، وإن المخابر الكيميائية اليوم ازدهرت وزينت بأحدث الأدوات والماكينات الهائلة المدهشة التي لا يتصورها أحد قبل منتصف هذا القرن بنفسه ، وبذلك تمكن الإنسان الحديث من قلب ماهيات العناصر المتواجدة وتحويلها من شكل إلى شكل بكل حذق ومهارة صناعية واستغلال طاقاتها الهائلة كالكهربه والبخار والأشعّة والطاقة الذرية وما إلى ذلك ، وهذه التحويلات تتشكل بأنواع من الاختراعات المستحدثة التي تحيط بنا في حياتنا الفردية والجماعية بوسائل التقنية والتكنالوجية الحديثة مع مساعدة علم الفيزياء ، فإن هذا العلم لا يزال يتقدم بالتجارب المتابعة بكل نظم وضبط في المختبرات الكيميائية ، وبذلك تنكشف ثمة اكتشافات متواصلة يوماً فيوماً ، وهي تظفر بها بخُبرات حازمة .

العلوم التجريبية صالحة للاستدلال :

ويتأصل من هنا أن المعلومات أو المعارف التي تحصل بهذا العلم - تجريبياً - هي جديرة بالاستدلال في مجال العلم والبرهان ، كما هي جديرة في مجال استغلال منافع الأشياء المادية عملياً ، فليس ثمّة مصادفة ولا اتفاق للوقائع في دنيا العلم والتجربة ، وبعبارة أخرى لا يوجد هناك تطور في نطاق العلوم التجريبي ، فإذا جربت في شأن من شئونها وجدت دائماً نتيجة

واحدة لا تختلف عما سبقت ، وبالتالي ليست في دنيا المجربات فوضى ولا انحلال ، فإذا كسرت -على سبيل المثال - جُزيئياً (Molecule) من الماء في المختبر بطريق كيميائي ، لوجدت هناك دائماً قد صدرت ذرتان من الهيدروجن وذرة من الأكسيجن لا تختلف النتيجة ، وكذلك إذا ركبت هذه الذرات المفردة بطريق كيميائي تتكون جزيئاً من الماء ثانيةً ، أي تعود إلى حالتها الأولى كما كانت قبل ، فلا تُخلف ظنك ، وكذلك إذا فتحت مفتاحاً كهربائياً استنار المصباح الكهربائي وتحركت الماكينة وسَخُنت المكواة وأخذ يعمل المُكيّف الهوائي وانشغل الكمبيوتر وجرى الفاكس وهكذا دواليك ، لا تختلف النتائج بواحدة في المائة ، وكذلك الأدوات الأخرى والماكينات الهائلة والصاروخات والأقمار الصناعية كلها تتحرك وتشتغل على نظام وضابط ، ليس فيها استثناء إلا إذا كانت هذه الماكينات مُختلّة .

فإن الخواص والطاقات التي أودعت في الأكوان والمظاهر المادية تجري على هذا المنوال على الدوام ، وهكذا سنن اللّه تعالى جارية في العالم الطبيعي دائمة ، فلا ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فإن الإنسان لن يخلق شيئاً ولا يبدع كائناً من قبله ، إلا ما كان ميسراً له من استغلال الأكوان والأشياء التي قد سُخّرت له من قبل خالقها وبارئها ، فهو إذاً يستفيد من هذه الأكوان وطاقاتها بعد اكتشاف خصائصها وأسرارها فقط ، يستخدم الكينونات وما فيها من الخيرات تارة ويُحاكي خلق اللّه تعالى على منوال الفطرة تارة أخرى ، كما هو الشأن في طفل الأنبوب بطريق التلقيح الاصطناعي والاستنساخ (Cloning) وهو توليد مزدوج حيواني صناعياً من الخلية بدون العمل الجنسي أصلاً (١٤) ، فلا غرابة في هذا الحقل التجريبي .

العناصر ودورها في تشكيل الأكوان :

وهناك توجد ٩٢/عنصراً في العالم الطبيعي كما حصرها العلوم ، التي تشكل العوالم المادية ، وبعبارة أخرى الأشياء الكونية -السمائية والأرضية- جمعاء من جماد ونبات وحيوان وجرم سماوي ، مكوّنة من هذه العناصر المفردة ،

كما تتألف الجُمل والعبارات من الحروف الأبجدية ، ثم لكل من هذه العناصر خصائص مخصوصة ، وهي تنقسم بطبائعها وخواصها وصفاتها إلى ثماني زُمرات كبيرة ، ولكن لا يتسع المقام لتفصيلها وهذا علم برأسه ، ولكن يجدر بنا أن نذكر أن ثمة توجد العناصر الفلزية ٨٣٪ في المائة والبواقي ١٧٪ فقط أي العناصر الغير فلزية ، و من الفلزات الحديد و النحاس والألومنيوم والكُلسيوم البُوتاسيوم والمغنسيوم والسوديوم والرصاص والتنك والزنك والذهب والفضة والكُوبَلت والراديوم والثوريوم اليورانيوم وما إلى ذلك ، ومن غير الفلزات الهيدروجن والهليُوم والكربون والنتروجين والأوكسيجن والسلكون والفُسفور والكبريت والكلور والبورون والبود وما إلى ذلك .

وهذه العناصر تشكل المظاهر الكونية ، كما تعلب دوراً هاماً في الصناعات المتنوعة والتكنالوجية الحديثة ، وهي تتوفر في بنية الأكوان وهياكلها ، وعلى سبيل المثال يتشكل الماء من الهيدروجن والأكسيجن ، والهواء يتكون من النتروجين والأوكسجين على الأغلب ، والتراب أو قشر الأرض يتألف من الأكسيجن (٤٩،٥٪) والسلكون (٢٥،٧٪) والألومنيوم (٧،٥٪) والحديد (٤،٧٪) والكلسيوم (٣،٤٪) والسوديوم (٢،٦٪) والبوتاسيوم (٢،٤٪) والمغنسيوم (١،٩٪) والهيدروجن (٠،٩٪) والبواقي (١،٤٪) (١٥) .

إن البروتوبلازما (Protoplasma) هو المادة الحية الأساسية التي توجد في الخلايا النباتية والحيوانية على السواء ، وهي تتشكل بالغالب من أربعة عشر عنصراً من هذه العناصر ، وهي : الأكسيجن والكربون والهيدروجن والنتروجن والكلسيوم والفسفور والكلور والكبريت والبوتاسيوم والسوديوم والمغنسيوم والحديد والبود والسلكون .

ومن الأهم بهذا الخصوص أن العشرة الأولى منها توجد في تكوين هذه المادة الحية (البروتوبلازما) ٩٩٪ في المائة بالنسبة للبواقي ، بهذا الترتيب :

الأكسيجن (٦٢٪)	الكربون (٢٠٪)	الهيدروجن (١٠٪)
النتروجن (٣٪)	الكلسيوم (٢،٥٪)	الفسفور (١،١٤٪)
الكلور (٠،١٦٪)	الكبريت (٠،١٤٪)	البوتاسيوم (٠،١١٪)
	السوديوم (٠،١٠٪)	

Over 99 percent of the matter of living organisms is composed of just ten elements: oxygen (62%), carbon (20%), hydrogen (10%), nitrogen (3%), calcium 2.5%), phosphorus (1.14%), chlorine (0.16%), sulfur (0.14%), potassium (0.11%), and sodium (0.10%). (16)

بعض معارف القرآن الكريم :

ويناسب المقام أن نذكر بعض رموز وأسرار القرآن الكريم ، فإن العناصر التي توجد في بنى الحيوانات والنباتات وهياكلهما هي العناصر الغالبة ، كما حققه العلم الحديث بعد دراسة فاحصة واختبار مجهري في المخابر ، وهذه العناصر الغالبة هي "خلاصة الأرض" في مصطلح القرآن الكريم ، التي خُلق منها الإنسان كما ينص كتاب اللّه العزيز : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ﴾ . [سورة المؤمنون ، الآية : ١٢]

والسُلالة : الخلاصة من كل شئ ، قال الراغب : أي من الصفو الذي يُسلّ من الأرض (١٧) ، والصفو من الشئ خياره وخالصه ، وقال الزمخشري: السُلالة الخلاصة (١٨) ، وهذه هي الحقائق العلمية والمعارف القرآنية التي تصدقها الاكتشافات الجديدة كل يوم ، وأما الحقيقة التي كشفها العلم التجريبي عن البنية النباتية بهذا الخصوص بأنها توجد في مادتها هي العناصر بنفسها كذلك ، فكشف كتاب اللّه عن هذا السر قبل أن يصل إليه العلم بزمن طويل ، كما يقول اللّه علام الغيوب : ﴿ واللّه أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ . [سورة نوح ، الآية : ١٧]

وهذا تشبيه بديع رائع يكشف القناع عن المفهوم الحقيقي أنه لا يعني هذا إلا المماثلة فيما بينهما عنصرياً وتطبقهما هيكلاً ، وهو نظام الخلايا ونظام التفاعلي الحيوي (الكيميائي) ونظام التغذية ونظام التنفس ونظام النشوء والازدياد أوتوماتيكيا ، من الواحد إلى الاثنين ومن الاثنين إلى الأربعة ومن الأربعة إلى الثمانية وهكذا دواليك ، من انسجام عجيب بين الجنسين ، وهذا النظام المدهش يدل على وحدة الخلق و وحدة الخالق من وجهات كثيرة ، وهذا علم مستقل برأسه ، وهو يتعلق بعلم الأحياء (Biology)،

وبذلك تنكشف أسرار القرآن وأسرار خلق اللّه تعالى في عالم الأحياء وعالم العناصر ، وهذه العوالم تُدهش الناس بعجائبها ودروسها المودعة فيها ، ولا يدركون كنهها حق المعرفة إلا ما يتعلق بمظاهرها وأسبابها الظاهرة ، وأما ما يتعلق بعللها الباطنة و بواعثها المستترة فلا يصلون إليها أبداً من وراء الستار ، و يريهم آياته البينات في العالم المشهود على وجوده وبدائع صنعه ودقة مهارته في مخلوقاته التي تحير الناس ، فلا يفهمونها حق المعرفة ، لأن بين صنع اللّه و صنع الإنسان تبايناً واضحاً وبوناً شاسعاً ، و لذا قال اللّه تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ . [سورة الإسراء ، الآية : ٨٥]

العملية السحرية لعلم الكيمياء :

لقد جاء هذا الكلام استطراداً لشرح بعض المبادئ والمواقف بين القرآن والعلم ، فنعود إلى ما بدأنا ، فإن العناصر الطبيعية أو المواد المتواجدة على وجه الأرض تحمل اتجاهين : اتجاهاً علمياً واتجاهاً عملياً ، فأما الاتجاه العلمي فينبه الإنسان على اعتبارها والاتعاظ بها ، وأما الاتجاه العملي فهذا باب مفتوح له باستمتاع نعم اللّه تعالى بكل حيلة و وسيلة مع مراعاة بعض القيود ، فإن الإنسان الحديث لقد تقدم في هذا الميدان تقدماً ضخماً لا عهد له في العصور السالفة ، إنه اليوم قد أقام سيادته على البر والبحر وسخّر الأجواء والأجرام السماوية بعد سيطرته ومهارته في العلوم الفيزيائية والكيمياء وما إلى ذلك من العلوم الطبيعية التجريبية ، فاشتدت قبضته على المظاهر والأكوان ، وهو يستخرج خيراتها ويستغل طاقاتها وينتفع بمنافعها ويستخدمها كأنها ذَلولة ومستعبَدة .

فإن هذا العلم - علم الكيمياء - قد ازدهر اليوم ازدهاراً هائلاً ، وقد صار الإنسان بهذا العلم ماهراً بل ساحراً ، يقلب الأشياء ويغير ماهياتها وأشكالها "بسحر عظيم" ، ولكنه في الواقع ليس بسحر ، بل هو يمشي ويُمضي الأشياء على سنن اللّه الجارية وحسب نواميس الفطرة ، فإنه استجلى أسرار الفطرة واستكشف نواميسها بالاستقراء التام والاختبارات

العلمية المتواصلة ، وبالتالي قد سيطر على عوالم العنصرية بحذافيرها ، فاستخدم العناصر لأغراضه وأهدافه خيراً كانت أو شراً ، كأنه صار إلهاً من الآلهة ، كما يظن عامة الناس بإعجاب وحيرة لمنجزاته المدهشة .

المركبات الكربونية :

وعلى كل ، فإن العلماء الطبيعيين يُجرون كل يوم تجارب حديثة في المختبرات العلمية ويبتكرون أنواعاً من المصنوعات المستحدثة المصطنعة بكل دقة ومهارة فنّية ، ثم بعد إتمام التجارب يُنفّذون الإجراءات لإنتاجها تجارياً في المعامل والمصانع ، ثم بعد ذلك تجيئ هذه المصنوعات والإنتاجات إلى الأسواق للبيع ، فإن الإنتاجات الاصطناعية تشتمل على الأدوية والأسمدة والصبغيات والمأكولات والمشروبات الصناعية والمُنظفات والمواد الانفجارية والمواد المبيدة للحشرات والجراثيم والمواد الدهنية والبلاستك والمطاط الصناعي والخيوط الصناعية وأنواع من الإنتاجات التي لا يُحصى عددها ، وهذه المنتوجات تسمى المركبات العُضوية (Organic Compounds) أو المركبات الكربونية (Carbonic Compounds) والتي بلغ عددها - بالصناعات الاصطناعية - إلى ستة ملايين ، وهذه النتاجات هي التي توجد فيها عنصر الكربون (Carbon) كجزء أساسي فيها .

والمركبات الكربونية كانت توجد قبل ١٨٢٨م في الكائنات الحية فقط ، حينما نجح عالم ألماني (فريدرك وُولر) في إنجاز مركب كربوني اصطناعياً من خلال تجربة في أحد المخابر ، وهو يوريا (Urea) (١٩) ، وبعد ذلك حدثت متعاقبة ومتواصلة ، وقد بلغ عددها إلى ملايين والأسواق مشحونة بها .

المركبات العضوية وغير العضوية :

ويجدر بنا المقام أن نذكر عن ماهية المركبات وبنيتها بشئ من الإيجاز ، فالمركب في مصطلح الكيمياء هي المادة التي تتألف بعنصرين أو أكثر بجنسها كانا أو باختلافهما ، فإن جزيئاً (Molecule) من الماء - مثلاً - مركب ، وهو مؤلف بجوهرين من الهيدروجن وجوهر من الأوكسيجن ، وكذلك جزيئي

من الملح الذي يؤكل (Table Salt) مؤلف بجوهر من الكلور وجوهر من السوديوم ، والجزيئي من ثاني أكسيد الكربون (Carbon Dioxide) مؤلف بجوهرين من الأوكسيجن وجوهر من الكربون ، وقس على ذلك .

والفرق بين العنصر والجوهر هو بأن عنصراً من العناصر يختلف عن العناصر الأخرى كل اختلاف (وهي مجموعة من ٩٢/عنصراً توجد في عالم الطبيعة) بينما الجوهر كل فرد من أفراد عنصر واحد ، وهي الجواهر المماثلة التي لا تحصى عددها ، فأفراد الهيدروجن أو الأوكسيجن أو الكربون مثلاً توجد بغير حساب وفوق الحصر ، وهذه الثلاثة متوافرة في الأشياء الحية من النبات والحيوان ومظاهرهما المختلفة على الغالب مع تعامل غيرها من بعض العناصر الأخرى ، فللجوهر والجواهر أهمية كبرى في علم الكيمياء ، وهي موضوع لعلم الكيمياء الحديث .

وجملة القول أن ثمة يوجد قسمان من المركبات : المركبات العضوية أو النامية (Organic Compounds) والمركبات اللاعُضوية أو غير النامية (Inorganic Compounds) ، فأما المركبات العضوية فهي التي توجد فيها أهلية النمو مثل المأكولات من الحيوان والنبات (الدهون والشحوم والكربوهيدرات وغيرها) والخشب والفحم والمطاط والأسبرتو والقطن والصوف والنيلون والسّلولوز والغُلوكوز وما إلى ذلك من الأشياء النامية التي لها صلة بالكائنات الحية ، والتي يوجد فيها عنصر الكربون كجزء أساسي ، وأما المركبات اللاعضوية فهي - بالعكس - لا يوجد فيها استعداد النمو مثل الماء والملح والأكسيد والحامض والكِلس والكبريتات (السُلفات) وما إلى ذلك من المركبات التي تؤخذ من الكائنات الغير نامية .

وهناك توجد مئات الألوف من كلتي النوعين من المركبات في العالم الطبيعي الذي خلقه الله لإفادة الإنسان وإكرامه بنعمه ، لينتفع بها في حياته الفردية والجماعية ، وكل هذه المركبات الطبيعية تستمر وتدوم بكل نظم ونسق ، لا فوضى فيها ولا تشتت ، وهي كما يقول الله تعالى : ﴿ وكل شئ

عنده بمقدار ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٨]، ﴿ وخلق كل شئ فقدّره تقديراً ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢]، ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ [سورة القمر، الآية: ٤٩]، ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ [سورة الملك، الآية: ٣].

فإن هذه المبادئ والمقومات والمعارف القرآنية لتنطبق على عالم العناصر والجواهر والمركبات ونظام الخلايا وتفاعلاتها وما إلى ذلك تمام الانطباق، وهذا هو العلم الذي يكشف عن أسرار خلق الله تعالى كما يكشف القناع عن رُموز كتاب الله الحميد الذي يجمع عجائب الأكوان والموجودات في دفّتيه، فإذا استعرضت العلوم وقضاياها ثم نظرت في كتاب الله الخالد نظراً فاحصاً لوجدت فيه "كل شئ" بشكل المبادئ والأصول ولذلك قال تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨]، ﴿ وكل شئ فصلناه تفصيلاً ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٢].

اتساع العلوم الكيميائية:

وهناك تقسيم لعلم الكيمياء إلى فرعين أساسين: فرع يبحث عن المركبات العضوية، فهو يسمى الكيمياء العضوية (Organic Chemistry) وفرع آخر يبحث عن المركبات اللاعضوية، فهو يسمى الكيمياء اللاعضوية (Inorganic Chemistry) وثمة فروع أخرى له، وهي:

٣- الكيمياء التحلدلية (Analytical Chemistry) يبحث عن خصائص المواد الكيميائية وبنية المركبات والمزيجات وطبائعها.

٤- الكيمياء التطبيقية (Applied Chemistry) يتعلق باستعمال معرفة المواد الكيميائية وسلوكياتها عملياً.

٥- الكيمياء الحيوية (Biochemistry) يهتم بالعمليات الكيميائية في الكائنات الحية.

٦- الكيمياء الطبيعية (Physical Chemistry) يشرح العمليات الكيميائية في مصطلحات الخصائص الطبيعية للمادة كالكتلة والحركة والحرارة والكهربا والإشعاع.

٧- الكيمياء المركبة (Polymer Chemistry) يبحث عن البلاستك والجزيئات الأخرى تشبه السلسلة التي هي مكونة من الجزيئات الصغيرة والكبيرة.

٨- الكيمياء الاصطناعية (Synthetic Chemistry) يتضمن بتركيب العناصر والمركبات الكيميائية وإعداد نسخة من المادات أو المركبات الطبيعية، وبعبارة أخرى وهي إنتاج المركبات الاصطناعية التي لا توجد في عالم الطبيعة (٢٠).

[يتبع]

☆☆☆☆

الهوامش:

(١١) انظر: The World Book Encyclopaedia, Vol.3, P.366.

(١٢) Principles of Chemistry, Oxtoby, P.1, Philadelphia, 1990.

(١٣) General Chemistry, Ebbing, P.3, Boston, 1990.

(١٤) لشرح وتفصيل هذا الإنجاز العلمي، انظر: كتابنا "التجليات الربانية في عالم الطبيعة"، من منشورات الإكاديمية الفرقانية، بنجلور، الهند.

(١٥) انظر: المفاهيم الأساسية للكيمياء: Basic Concepts of Chemistry, P.284.

(١٦) الموسوعة البريطانية: ١١٧/٤، ١٩٨٣م.

(١٧) انظر: المفردات في غريب القرآن: ص/٢٤٣، دار الفكر بيروت.

(١٨) الكشاف عن حقائق التنزيل: ٢٧/٣، ط/تهران.

(١٩) انظر: كتاب المفاهيم الأساسية للكيمياء (المرجع السالف ذكره): ص/٤٦٧.

(٢٠) انظر: The World Book Encyclopaedia, Vol.3, P.368.

دراسات في السنة :

الحديث القدسي

و مدلوله الشرعي

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شاهجهان الندوي
أستاذ الحديث والفقه بالجامعة الإسلامية . أعظم كره (الهند)

الحديث القدسي مظهر للعظمة الإلهية :

إن للحديث القدسي لوناً خاصاً يمتاز به عن سائر الأحاديث النبوية - على صاحبها ألف ألف تحية وتسليم - إذ الحديث القدسي تتجلى عليه النفحة الإلهية ، وشآبيب الرحمة الربانية ، كما أنه تظهر عليه الهيبة الربانية ، والعظمة الإلهية ، مع أن أسلوبه غير أسلوب القرآن الحميد ، والفرقان المجيد ، فإذا أسند الرسول ﷺ الحديث إلى نفسه فهو يسمى حديثاً بالمعنى الآتي ، وأما الذي يحكيه عن ربه ، فهو الحديث القدسي .

الحديث في اللغة :

الحديث في اللغة : نقيض القديم ، والحدوث : نقيض القدمة ، حدث الشئ يحدث حدوثاً ، وحداثةً ، وأحدثه هو ، فهو محدث ، وحديث ، وكذلك استحدثه (١) ، وقال الزبيدي : "والحديث : نقيض القديم والحدوث : نقيض القدمة ، وتضم داله إذا ذكر مع قدم ، كأنه إتباع ، ومثله كثير" (٢) ، وقال الجوهري : والحديث : الخبر ، يأتي على القليل والكثير ، ويجمع على أحاديث على غير قياس ، قال الفراء : نرى أن واحد الأحاديث ، أحدوثة ، ثم جعلوه جمعاً للحديث (٣) .

وفي "المحيط في اللغة" الحديث معروف ، حدث ، يحدّث ، وصار فلان أحدوثة : أكثروا فيه الأحاديث ، والحديث من الأشياء : المحدث ، وحدث الشئ ، واستحدثت أمراً (٤) .

بكم معنى ورد الحديث في القرآن الكريم :

لقد جاء ذكر الحديث في القرآن الحميد على خمسة أوجه :

١- بمعنى الأخبار والآثار : ﴿ .. أتحدثونهم بما فتح الله عليكم .. ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٧٦] ، ٢- بمعنى القول والكلام : ﴿ .. ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٨٧] ، ٣- بمعنى القرآن العظيم : ﴿ فليأتوا بحديث مثله .. ﴾ [سورة الطور ، الآية : ٣٤] ، ٤- بمعنى القصص ذات العبر : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٢٣] ، ٥- بمعنى العبر في حديث الكفار والفجار : ﴿ .. فجعلناهم أحاديث .. ﴾ [سورة سبأ ، الآية : ١٩] (٥) .

الحديث في الاصطلاح :

أحسن تعريف للحديث - إذا أضيف إليه : "بعد النبوة" - هو ما عرفه السخاوي ، بأن الحديث اصطلاحاً : "هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً له ، أو فعلاً ، أو تقريراً ، أو صفةً ، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام" (٦) .

وكان أحسن التعريف للحديث الشريف ، هو تعريف السخاوي ، إذا أضيف إليه : "بعد النبوة" ؟ وذلك لأنه قد يدخل في مسمى الحديث بعض أخباره ﷺ قبل النبوة ، وبعض سيرته ﷺ قبل النبوة ، مثل : " تحنثه بغار حراء" ، ومثل : "حسن سيرته" ، لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة : من كرائم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، وأمثال ذلك ، مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه ، ولكن هذه الأمور ، لا تذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبوة ، بل قد أجمع المسلمون على أن الذي فرض على عباده الإيمان والعمل به هو ما جاء بعد النبوة" (٧) .

القدسي في اللغة :

القدسي منسوب إلى القدس ، ومعناه الطهر ، قال الزبيدي : القدس بالضم وبضمتين : الطهر ، اسم ومصدر ، ومنه قيل للجنة : حظيرة

القدس ، والقدس : البيت المقدس ، لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، أو للبركة التي فيه ، والقُدّوس : بالضم والتشديد ، من أسماء اللّه تعالى الحسنى ، ويفتح ، أي الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص ، أو المبارك ، وقال ثعلب : كل اسم على فعول ، فهو مفتوح الأول ، غير قدوس ، وسبوح ، وذروح (٨) ، و روح القدس : لقب جبريل ﷺ ، لأنه خلق من طهارة (٩) .

وقال الجوهري : القُدْسُ ، والقُدُس : الطهر ، اسم ومصدر ، والتقديس : التطهير، وتقدس أي تطهر، والأرض المقدسة : المطهّرة (١٠) .

الحديث القدسي في الاصطلاح :

هو ما أضافه الرسول ﷺ إلى اللّه عزّ وجل من غير القرآن (١١) ، فهو يسمى حديثاً، لأن الرسول ﷺ يحكيه ويرويه عن ربه ، كما تروى الأحاديث عنه، وقدسي: لأنه منسوب إلى القدوس تبارك وتعالى وصادر عنه .

هل الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند اللّه ؟

ذهب العلماء بهذا الصدد إلى مذهبين :

الأول : أن الحديث القدسي من كلام اللّه تعالى ، وليس للنبي ﷺ إلا حكايته عن ربه .

الثاني : إن الحديث القدسي من قوله ﷺ ولفظه ، كالأحاديث النبوية ، والمعنى من عند اللّه بإلهام أو بمنام ، وهذا المذهب الثاني هو الأرجح إذ لم ينزل باللفظ من قبل اللّه تعالى ، إلا القرآن الكريم ، لتميزه عن بقية أنواع الوحي بأنه معجز من أوجه كثيرة ، منها : إعجازه اللفظي والبياني (١٢) .

الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية :

١- أن الأحاديث القدسية ما كان لفظها من عند النبي ﷺ على رأي البعض ، ومعناها من عند اللّه بالإلهام أو بالمنام بوحي جلي أولاً ، وأما

القرآن المجيد ، فهو ما كان لفظه ومعناه من عند اللّه ، بوحي جلي بمعنى أن ينزل به جبريل ﷺ بلفظه من عند اللّه سبحانه في اليقظة ، و ليس في المنام ، ولا بإلهام .

٢- أن القرآن المجيد منقول بطريق التواتر في كل طبقة وعصر وحين ، بخلاف الحديث القدسي .

٣- أن القرآن الحميد والفرقان المجيد معجزة باقية على مر الدهر ، محفوظة من التغيير والتبديل ، بخلاف الأحاديث القدسية .

٤- أن القرآن المجيد تحرم روايته بالمعنى ، بخلاف الحديث القدسي ؛ فإن روايته بالمعنى جائزة .

٥- أن جاحد القرآن الكريم يكفر ، ولا يكفر جاحد الأحاديث القدسية .

٦- أن الفرقان المجيد يسمى جزء خاص منه "آية" وطائفة مخصوصة منه "سورة" بخلاف الحديث القدسي .

٧- أن القرآن الحميد متعبد بتلاوته ، فهو المتحين للقراءة في الصلاة ، ومجرد قراءته عبادة ، بخلاف الحديث القدسي ؛ فإن قراءته وإن كان من الأعمال التي يثاب عليها ، ولكن مجرد قراءته ليس بعبادة .

٨- أن الفرقان المجيد يحرم مسه للمحدث ، وتحرم تلاوته للجنب والحائض والنفساء ، بخلاف الحديث القدسي ؛ فإن مسه للمحدث يجوز بلا كراهية ، ومع الكراهية يجوز مسه للجنب والحائض والنفساء (١٣) .

الفرق بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية :

١- أن الحديث القدسي يحكيه الرسول ﷺ عن اللّه عزّوجل ، ويسنده إلى الرب تبارك وتعالى ، بخلاف الأحاديث النبوية ، فإن الرسول ﷺ يسندها إلى نفسه إسناداً مباشراً .

٢- أن الحديث القدسي مقطوع بنزول معناه من عند اللّه ، لأن الرسول ﷺ ينسبه إلى اللّه صريحاً ، بقوله : يقول ربكم كذا .. ، أما الحديث النبوي ، فلم يرد فيه مثل هذا التصريح ، لأن من الأحاديث النبوية ما هو

"توقيفي" جاء به الوحي إلى الرسول ﷺ فبيّنه للناس بكلامه، و هذا القسم وإن كان مرجعه إلى الله تعالى الملهم والمعلم، إلا أنه لما كان من قول الرسول الكريم ﷺ و وضعه، كان جديراً أن ينسب إليه، ومنه ما هو مستنبط بالاجتهاد والرأي من كلام الله، والتأمل في حقائق الكون، وهذا ليس كلام الله بالقطع، ويطلق على القسمين حديثاً نبوياً وقوفاً بالتسمية عند الحد للجزم به.

صيغ الحديث القدسي:

للحديث القدسي صيغتان:

إحداهما: أن يقول الراوي: قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربكم، أو فيما روى عن الله تبارك وتعالى.

مثال ذلك: ١- ما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ يرويه عن ربكم، قال: "لكل عمل كفارة، والصوم لي، وأنا أجزى به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" (١٤).

٢- وما رواه أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا.." [الحديث] (١٥).

والصيغة الثانية: أن يقول الراوي: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى، أو قال الله عزّوجل.

مثال ذلك: ١- ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة (١٦).

٢- وما رواه أبو هريرة ﷺ أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عزّوجل: إذا هم عبدي بحسنة، ولم يعملها، كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها

عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة، ولم يعملها، لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة (١٧).

وصف الحديث بكونه قدسياً لا يعني أنه صحيح:

وليس بخاف على كل من له إلمام بعلم مصطلح الحديث أن وصف الحديث بكونه قدسياً لا يعني أنه صحيح؛ إذ أن الصحة والضعف مرجعهما إلى السند، وهذه الوصفية مرجعها إلى نسبة الكلام إلى القدوس تبارك وتعالى.

فعلى هذا قد يكون الحديث القدسي صحيحاً، وقد يكون حسناً، وقد يكون ضعيفاً، وقد تقدمت أمثلة الأحاديث القدسية الصحيحة، ونريد الآن: أن نقدم أمثلة للحديث القدسي الحسن، والحديث القدسي الضعيف.

مثال الحديث القدسي الحسن:

ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً، ولم أسد فقرك" (١٨).

مثال الحديث القدسي الضعيف:

ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: "أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً" (١٩).

والحديث ضعيف، لأن فيه قرة بن عبد الرحمن، وهو ضعيف الحديث (٢٠).

☆☆☆☆☆

الهوامش:

(١) لسان العرب -لابن منظور: ٧٩٦/٢، ط/دار المعارف - القاهرة.

(٢) تاج العروس: ٢٠٥/٥، ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) الصحاح -للجوهري : ٢٧٨/١ ، ط/دار العلم للملايين - بيروت .

(٤) المحيط في اللغة -للصاحب إسماعيل بن عباد : ٣٤/٣ ، ط/عالم الكتب - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٥) انظر : الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج -للدكتور عبد الكريم : ص/١٠-١١، ط/دار المسلم - الرياض .

(٦) فتح المغيث : ٢١/١ ، ط/دار الكتب العلمية - بيروت .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ١٠/١٨-١١ بتصرف يسير ، ط/دار عالم الكتب - الرياض .

(٨) تاج العروس : ٣٥٤/١٦-٣٥٧ .

(٩) مجمع بحار الأنوار -للفتني : ٢٢٩/٤ ، ط/مكتبة دار الإيمان - المدينة المنورة .

(١٠) الصحاح : ٩٦١/٣ .

(١١-١٢) قواعد أصول الحديث -للدكتور أحمد عمر هاشم : ص/٢١ ، ط/عالم الكتب - بيروت .

(١٣) الأحاديث القدسية الأربعينية -لعلي القاري : ص/١٠ ، ط/مكتبة الصحابة - جدة ، قواعد أصول الحديث : ص/٢١-٢٢ ، فتح المبين بشرح الأربعين -للهيثمي : ص/٢٠٠-٢٠١ ، ط/دار إحياء الكتب - مصر .

(١٤) أخرجه البخاري ، برقم/٧٥٣٨ ، ومسند الإمام أحمد : ٤٥٧/٢ ، الأطراف : ١٨٩٤ ، ١٩٠٤ ، ٥٩٢٧ ، ٧٤٩٢ ، تحفة الأشراف : ١٤٣٩٣ .

(١٥) رواه مسلم مطولاً برقم/٢٥٧٧ .

(١٦) أخرجه البخاري برقم/٧٤٠٥ ، ومسلم برقم/٢٦٧٥ ، والترمذي برقم/٣٦٠٣ ، وابن ماجة برقم/٣٨٢٢ ، الأطراف : ٧٥٠٥ ، ٧٥٣٧ ، تحفة الأشراف : ١٢٣٧٣ ، والدارمي : ٣٠٥/٢ ، والإمام أحمد : ٢٥١/٢-٣١٥ .

(١٧) رواه مسلم برقم/٢٠٤ ، والترمذي برقم/٣٠٧٥ ، وأحمد : ٢٣٤/٢ ، ٢٤٢ ، ٣١٥ ، وعبد الرزاق برقم/٢٠٥٥٧ ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" : ص/٧١-٧٢ ، والبغوي في "شرح السنة" : ٣٨١٤ ، وتحفة الأشراف : ١٦٧١٠ ، ط/الهند .

(١٨) رواه الترمذي برقم/٢٤٦٧ ، في أبواب صفة القيامة ، و قال : هذا حديث حسن

غريب ، وأبو خالد الوالبي اسمه "هرمز" ، والإمام أحمد : ٣٥٨/٢ ، وابن ماجة برقم/٤١٠٧ ، وابن حبان : ٢٤٧ ، وشجري في "الأمالي" : ٢٠٧/٢ ، والمنذري في "الترغيب" : ١١٨/٤ ، والحاكم : ٤٤٣/٢ ، وقال : صحيح الإسناد ، و وافقه الذهبي ، والحق أن الحديث حسن ، لأن فيه زائدة بن نشيط ، ولم يوثقه إلا ابن حبان ، قال الحافظ : زائدة بن نشيط الكوفي ، روى عن أبي خالد الوالبي ، وعنه ابنه عمران ، وفطر بن خليفة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، له عند أبي داؤد في القراءة في صلاة الليل ، وعند الآخرين : ابن آدم تفرغ لعبادتي الحديث ، انظر : التهذيب : ١٨٢/٢ ، ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت .

وقال الدار قطني : يرويه عمران بن زائدة ، واختلف عنه ، فرواه عيسى بن يونس عن عمران بن زائدة بن نشيط عن أبيه ، عن أبي خالد الوالبي ، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ، و رواه عبد الله بن داؤد عن عمران بن زائدة . و قال فيه : و لا أعلمه إلا رفعه ، و رواه أبو أسامة عن عمران بن زائدة موقوفاً على أبي هريرة ، انظر : العلل -للدار قطني : ٣٢٥/٨-٣٢٦ ، برقم/١٥٩٦ ، ط/دار طيبة - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، نعم للحديث شاهد ، أخرجه الحاكم عن معقل بن يسار ﷺ ، برقم/٨٣/٧٩٢٦ ، وجعله صحيح الإسناد ولكنه أيضاً حسن ، وقد حسّن هذا الحديث أيضاً أبو إسحاق الحويني الأثري ، انظر تعليقه على الأحاديث القدسية الأربعينية : ص/٨٦ .

(١٩) رواه الإمام أحمد : ٢٣٧/٢ ، والترمذي : ص/٧٠٠-٧٠١ ، وابن خزيمة برقم/٢٠٦٢ ، وابن حبان برقم/٨٨٦ ، وشرح السنة : ٢٥٦/٦ ، وشجري في "الأمالي" : ١٨٩/١-١٩٠ .

(٢٠) قال الذهبي : قرة بن عبد الرحمن بن حَيْوَئيل ، خرّج له مسلم في الشواهد ، وقال الجوزجاني : سمعت أحمد يقول : منكر الحديث جداً ، وقال يحيى : ضعيف الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس بقوي ، وقال : روى عن الزهري ، ويزيد بن أبي حبيب ، وعنه الليث ، وابن وهب ، وجماعة ، مات سنة سبع وأربعين ومائة ، وقال ابن عدي : روى الأوزاعي عن قرة بضعة عشر حديثاً ، وأرجو أنه لا بأس به ، انظر : ميزان الاعتدال -للذهبي : ٣٨٣/٣ ، برقم/٦٨٦ ، ط/دار المعرفة - بيروت .

الفقه الإسلامي :

حقوق المرأة في الإسلام

إعداد : الأستاذ رحمة الله الندوي [٣]

حقوق المرأة في مختلف أبواب الفقه الإسلامي :

أولاً - الميراث : هناك نصوص عامة من القرآن الكريم تسلط الأضواء على ما للمرأة من نصيب في الميراث ، وقد أجملت بعض الآيات ميراث المرأة وفصلته الأخرى ، يقول عزّ من قائل : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ (٥٧) ، ويقول عزّوجل : ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك * وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ ولهن الربع مما تركتم * إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ .

هذه نصوص القرآن الكريم تتضمن أصول علم الفرائض ، وقد شرحتها السنة النبوية بكل تفاصيلها ، و زادت بعض التفريعات نصاً ، واجتهد الفقهاء في بقية التفريعات تطبيقاً على هذه الأصول ، بهذا يظهر ما تتمتع به المرأة من حقوق ورعايات في ضوء تعاليم الإسلام الخالدة ، وبذلك فقد أبطل الإسلام نظام الجاهلية العالية الذي كان يحرم المرأة من الميراث ، لأنها لا تحارب الرجل ، فقال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ (٥٨) .

يقول السيد قطب الشهيد رحمه الله : "هذا هو المبدأ العام الذي أعطى الإسلام به النساء منذ أربعة عشر قرناً حق الإرث كالرجال من ناحية المبدأ ، لأن الجاهلية كانت تنظر إلى الأفراد حسب قيمتهم العملية في الحرب

والإنتاج ، أما الإسلام فجاء بمنهجه الرباني ، ينظر إلى الإنسان أولاً حسب قيمته الإنسانية ، و هي القيمة الأساسية التي لا تفارقه في حال من الأحوال ، ثم ينظر إليه بعد ذلك حسب تكاليفه الواقعية في محيط الأسرة وفي محيط الجماعة" (٥٩) .

يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان .. ﴾ [الآية] عن قتادة قال : "كانوا لا يورّثون النساء فنزلت" ، وعن عكرمة قال : نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد ، وهم من الأنصار ، كان أحدهم زوجها ، والآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله ! توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورّث ، فقال عم ولدها : يا رسول الله ! لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكأ عدواً ، يكسب عليها ولا تكتسب ، فنزلت" (٦٠) .

الحكمة في إعطاء الذكر حظ الأنثيين ورد الشبهات المثارة حول هذا :

إذا تأملنا في قانون الوراثة في الإسلام يتضح لنا أنه يقوم على أصول آتية إجمالاً :

١- ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ وهذا إذا لم يكن للميت وارث إلا ذريته من ذكور وإناث ، فإنهم يأخذون جميع التركة ، على أساس أن للبنت نصيباً واحداً ، وللذكر نصيبين اثنين .

٢- "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر" (٦١) .

و قد يرد ثمة إشكال وهو أنه لم تراع المساواة في هذين الأصلين ، بل نقص من نصيب المرأة ، بمقابل الرجل ، لكننا إذا استعرضنا سائر جوانب المجتمع الإسلامي ونظام الإسلام العائلي وجدنا الواقع عكس ذلك .

ولا شك أن في الوهلة الأولى يبدو أن هناك إيثاراً للرجل على المرأة ، ولكن هذه النظرة السطحية لا تفتأ أن تتكشف عن وحدة متكاملة في أوضاع الرجل والمرأة وتكاليفهما .

والشريعة الإسلامية قد أصّلت نظاماً محكماً في هذا الباب، فقالت: "الغرم بالغنم" وهي قاعدة ثابتة متكاملة في المنهج الإسلامي، وفي ضوء هذه القاعدة يقوم قانون الوراثة للإسلام، وعلى مصداقيتها يعطى الرجل مثل حظ الأنثيين، وفيما يأتي نذكر بعض الصور التي تطلعنا على دقة هذا النظام الرباني والحكمة الربانية التي توجد من وراء هذا التشريع العظيم، وتنبئنا بأن الإسلام منذ أرسل الله نبيه محمداً ﷺ قد سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، مساواة تتفق مع أعباء كل منهما وطبيعة تكوينهما.

أ- إن الرجل هو الذي يؤدي للمرأة صداقها ابتداءاً ولا تؤدي هي له صداقاً، لقوله تعالى: ﴿ فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة ﴾ (٦٢)، وقوله تعالى: ﴿ وآتوهنّ أجورهنّ بالمعروف ﴾ (٦٣)، وقوله جلّ وعلا: ﴿ و آتوا النساء صدقاتهنّ نحلة ﴾ (٦٤).

ب- الرجل ينفق عليها وعلى أولادها منه، والمرأة معفاة من هذا التكليف، ولو كان لها مال خاص، يقول الله تعالى: ﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض * وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ (٦٥)، ولقوله تعالى: ﴿ وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ ﴾ (٦٦).

قال الإمام الجصاص الرازي: "الآية تقتضي وجوب النفقة والكسوة لها في حال الزوجية لشمول الآية لسائر الوالدات من الزوجات والمطلقات" (٦٧)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ الرجال قوّامون على النساء ﴾ يقول الكاتب سالم البهنساوي وهو يشرح مبدأ قوّامية الرجل وأساسها: "مبدأ القوّامية تكليف وعبء وليس تفاخراً وتظاهراً أو تكبراً وتسلطاً، وهو مغرم لا مغنم، ومن هنا كان الرجل هو المكلف بالسعي في الأرض وشق الإنفاق وتحمل المشاق في سبيل كفالة الأسرة وتوفير الأمن والأمان لها" (٦٨)، كما أن المرأة تحبس منافعها على الزوج وتمتنع عن الاكتساب والتصرف، فكانت بحاجة إلى من ينفق عليها فوجبت نفقتها على الزوج.

ج- إن الرجل هو الذي يتحمل الديات و الأروش، و المرأة منها معفاة، قال

الإمام ابن المنذر: "وأجمعوا على أن المرأة والصبي الذي لم يبلغ لا يعقلان من العاقلة شيئاً" (٦٩).

د- إن الرجل عليه في النفقة على المعسرين والعاجزين، والعواجز عن الكسب في الأسرة الأقرب فالأقرب، والمرأة معفاة من فريضة التكافل العائلي العام.

هـ- نفقة المرأة المطلقة حتى نهاية العدة على الرجل، لقوله تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ (٧٠).

و- كما أن أجرة رضاع الطفل وحضانته عند افتراقهما في المعيشة يتحملها الرجل، يقول السيد قطب الشهيد رحمه الله وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ و للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾.

"وليس الأمر في هذا أمر محاباة لجنس على حساب جنس، إنما الأمر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في التكوين العائلي في النظام الاجتماعي الإسلامي، فالرجل يتزوج امرأة ويكلف إعالتها وإعالة أبنائها منه في كل حالة، وهي معه، وهي مطلقة منه، أما هي فإما أن تقوم بنفسها فقط، وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء، وليست مكلفة نفقة للزوج، ولا للأبناء في أي حال، فالرجل مكلف على الأقل ضعف أعباء المرأة في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي، ومن ثم يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغرم والغنم، في هذا التوزيع الحكيم، ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسرى لا تستقيم معها حياة" (٧١).

وبهذا تزول الإشكالات التي تثار حول مساواة الرجل والمرأة في الميراث، و يتجلى الواقع أن ما قررته الشريعة الإسلامية في تحديد أنصبة الرجل والمرأة، إنه يأتي في غاية العدل والإقساط، الذي يضمن فلاح المجتمع الإسلامي وتطهيره من أنجاس المادية واللادينية، ويدعو الناس إلى التمسك بهذا النظام العدل، فإنه نظام متكامل، وقاعدة "الغنم بالغرم" هو الذي

يحدد توزيع الميراث، ومعلوم أن نصيب الرجل من التبعات أثقل من نصيبه في الميراث.

كما أن في هذا تلميحاً دقيقاً إلى قدرة الرجل وطبيعته على القيام بأمور الكسب، وإلى توفير الراحة والطمأنينة الكاملة للمرأة، لتقوم على حراسة الرصيد البشري الثمين الذي لا يقوم بمال، ولا يعدله إنتاج أية سلعة أو أية خدمة أخرى ... (٧٢).

بعد الكشف عن هذه الحقائق الملموسة لا يبقى مجال لتلك الدعايات الكاذبة المزخرفة التي ترفع لواء المساواة بين الرجل والمرأة في سائر الحقوق، وتنادى بهذه النعرات الجوفاء على مستوى العالم.

يقول الدكتور مصطفى السباعي: "إن الشرائع التي تعطى المرأة في الميراث مثل نصيب الرجل ألزمتها بأعباء مثل أعبائه، و واجبات مالية مثل واجباته، لا جرم ان كان إعطاؤها مثل نصيبه في الميراث في هذه الحالة أمراً منطقياً ومعقولاً، أما أن نعفى المرأة من كل عبء مالي ومن كل سعي للإنفاق على نفسها وعلى أولادها، ونلزم الرجل وحده بذلك، ثم نعطيها مثل نصيبه في الميراث، فهذا ليس أمراً منطقياً مقبولاً في شريعة العدالة" (٧٣).

ولذا فلا يتوجه أي إشكال أو اعتراض على هذا النظام الحكيم العادل، وحسبنا أن نقول الآن أنه لا مجال للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث إلا بعد مطالبتها بمساواتها في الأعباء والواجبات، إنها فلسفة متكاملة لابد من الأخذ بها كلها أو تركها كلها، أما نحن كمسلمين فنرى أن فلسفة الإسلام في ذلك أصح وأكثر منطقية وأحرص على مصلحة الأسرة والمجتمع والمرأة ذاتها، وفي تجارب الحضارة الحديثة منها ما يؤيد وجهة نظر الإسلام لمن أراد الحق خالصاً من الأهواء والرغبات العاطفية (٧٤).

ثانياً - الشهادة: إن الشهادة دليل لإثبات الحقوق المختلفة، سواء كانت من حقوق الله أو من حقوق العباد، و سواء كانت حقوقاً ماليةً كالديون أو غير

مالية كالنكاح، وسواء كانت في قضايا الجرائم والعقوبات أو في غيرها.

يقول الدكتور محمد الزحيلي وهو يشرح مفهوم الشهادة بلسان العصر (٧٥): "والشهادة طريقة من الطرق التي تدعم الروابط الاجتماعية بين الناس، وتوثق الصلات بينهم، فأمر تعالى بالإشهاد على الحقوق، وفرض على الناس تأدية الشهادة وعدم كتمها، وهي سبب لإحياء الحقوق وحفظ الأرواح وصيانة الأعراض، ومن محاسنها الامتثال لأمر الله تعالى: ﴿ كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ﴾ (٧٦)، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط * ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا * اعدلوا * هو أقرب للتقوى ﴾ (٧٧).

إن القرآن الكريم تناول موضوع الشهادة بالبيان والتوضيح في خمسة مواضع، وذكر شهادة المرأة ودرجتها في موضع واحد منها، وهو قوله تعالى: ﴿ فاستشهدوا شهيدين من رجالكم * فإن لم يكونا رجلين * فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء * أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ (٧٨)، ومن هنا نشأت الأسئلة المتعددة حول شهادة المرأة، هل تقبل لوحدها أم لا؟ ما هي المسائل التي تعتبر فيها بشهادة المرأة؟ ما الحكمة في جعل المرأتين بدرجة رجل واحد في الشهادة، هذه الأسئلة تحتاج الإجابة، لكي يتضح لنا مدى قيمة ذهن المرأة في الإسلام.

وها نحن الآن فيما يأتي نذكر بعض أنواع الشهادة التي توضح لنا الصورة الواقعية لهذه القضية في ضوء أقوال العلماء وآراء المذاهب الأربعة:

أولاً - الشهادة فيما لا يطلع عليه إلا النساء:

اتفق الفقهاء على مشروعية القضاء بشهادة النساء منفردات فيما لا يطلع عليه الرجال، كالولادة والبكارة، و عيوب النساء التي تخفى على الرجال، و قد نص عليه جمع من الفقهاء و العلماء في مختلف المذاهب، كالسرخسي والقرطبي والمرغيناني والشافعي وغيرهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "و يجوز القضاء بشهادة النساء منفردات

في غير الحدود والقصاص عند جماعة من الخلف و السلف" (٧٩) .

و قال الإمام أبو الحسن برهان الدين المرغيناني : "و تقبل في الولادة والبكارة و العيوب بالنساء في موضع لا يطلع عليه الرجال شهادة امرأة واحدة" (٨٠) .

ثم اختلفوا في عدد النساء في هذه الشهادة على أقوال ملخصها ما يأتي :

١- إن نصاب هذه الشهادة امرأة واحدة ، وهو مذهب الأحناف والحنابلة .

٢- إن نصاب هذه الشهادة امرأتان ، وهو قول المالكية .

٣- إن نصاب هذه الشهادة أربع نسوة .

أدلة هذه الأقوال مبسوطة في كتب الفقه للمذاهب الأربعة (٨١) .

ثانياً - الشهادة في الزنا :

هذه الشهادة خاصة بالرجال ، ولا دخل فيها للمرأة ، واتفق الفقهاء على عدم الاكتفاء بشهادة رجلين في الزنا ، وإنما يجب إثباته بأربعة رجال ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم * فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ (٨٢) ، ولقوله تعالى : ﴿ لو لا جاءوا بأربعة شهداء * فإذ لم يأتوا بالشهداء * فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ (٨٣) .

وقد أجمع العلماء على ذلك (٨٤) إلا ابن حزم فإنه أجاز شهادة النساء والرجال في الزنا (٨٥) ، والدليل على عدم جواز شهادة المرأة فيها حديث الزهري : "مضت السنة من لدن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والخليفتين من بعده أن لا شهادة للنساء في الحدود والقصاص" (٨٦) .

ولأن فيها شبهة البدلية لقيامها مقام شهادة الرجال ، فلا تقبل فيما يندرئ بالشبهات (٨٧) .

ثالثاً - الشهادة في بقية الحدود والقصاص غير الزنا :

"كحد السرقة والشرب وحد القذف" :

لا تقبل فيها شهادة النساء بالاتفاق ، و لابد من شهادة رجلين فقط ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ ، يقول الإمام ابن

الهمام رحمه الله : "وسائر ما سوى حد الزنا من الحدود يقبل فيها شهادة رجلين ، ولا تقبل شهادة النساء ، لما ذكرنا ، كذا القصاص" (٨٨) .

رابعاً - الشهادة في الحقوق المالية :

اتفق الفقهاء على جواز قبول شهادة المرأة مع الرجل في المال ، وما يؤول إلى المال ، كالبيع والإجارة والرهن والضمان ومال السرقة والخلع ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم * فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء * أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ (٨٩) .

وقد نزلت هذه الآية في سياق المداينة التي تتضمن الديون أو السلم ، ويقاس عليها المال وما يقصد منه المال .

قال المحقق ابن الهمام رحمه الله : "لأن الأصل فيها عدم القبول لنقصان العقل واختلال الضبط وقصور الولاية ، حتى إنها لا تصلح للامارة ، ولا تقبل شهادة الأربع منهن وحدهن ، لكن خرج عن الأصل شرعاً في الأموال ضرورة ، لكثرة وقوع أسبابها ، فيلحق الحرج بطلب رجلين في كل حادثة ، وكذا العادة أن يوسع فيما يكثر وقوعه" (٩٠) .

خامساً - الشهادة في الحقوق غير المالية :

اختلف العلماء في قبول شهادة المرأة مع الرجل في الحقوق غير المالية ، كالنكاح والطلاق والعتاد والعدة والرجعة والنسب وغيرها على قولين :

١- عدم جواز قبول شهادة المرأة مع الرجل في هذه الحقوق ، بل لابد في إثباتها من شهادة رجلين ، وهو قول الجمهور من المالكية والشافعية والمشهور من مذهب الحنابلة .

٢- جواز قبول شهادة المرأة مع الرجل فيما ليس بمال و لا يؤول إلى مال ، فتقبل شهادتها في أحكام الأبدان و الأحوال الشخصية ، و هو قول الأحناف ورواية عن الحنابلة .

أدلة القول الأول : استدلوا بقوله تعالى : ﴿ فإذا بلغن أجلهنّ فأمسكوهنّ بمعروف أو فارقوهنّ بمعروف * وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ (٩١) .

وجه الدلالة أن لفظ : "ذوى" لفظ لوصف المذكر في الآية ، والآية في موضع الطلاق والرجعة ، فيشترط في إثباتها رجلان ، ولا تقبل فيها شهادة النساء مطلقاً (٩٢) .

كما أنهم قاسوا الأمور غير المالية على القصاص بجامع عدم قبول شهادة النساء فيهما على الانفراد (٩٣) .

أدلة القول الثاني : استدلوا بقوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم * فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء * أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾

وجه الدلالة : "إن الله تعالى أقام الرجل و المرأتين مقام الرجلين في الشهادة مع وجود الشاهدين ، فتقوم التسوية بينهما ما لم يرد نص خاص" كما استدلوا بقول الرسول ﷺ : "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ، قالت : يا رسول الله ! وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، و تمكث الليالي ، لا تصلي ، و تفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين" ، وفي رواية : "أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل ؟" .. (٩٤) .

وجه الدلالة أن الرسول الكريم ﷺ جعل شهادة كل امرأتين تساوي شهادة الرجل ، واللفظ مطلق ، فيبقى على إطلاقه ، وتبقى شهادة النساء مع الرجل في جميع الأحكام ، ما لم يرد نص يقيد ذلك ، ولم يرد في النكاح والطلاق والرجعة وغيرها نص صحيح يقيده (٩٥) .

قال المرغيناني : ولنا أن الأصل فيها القبول لوجود ما يبتني عليه أهلية الشهادة وهو المشاهدة والضبط والأداء ، إذ بالأول يحصل العلم للشاهد ، وبالثاني يبقى ، و بالثالث يحصل العلم للقاضي ، و لهذا يقبل إخبارها في الأخبار ، ونقصان الضبط بزيادة النسيان انجبر بضم الأخرى إليها ، فلم يبق

بعد ذلك إلا الشبهة ، فلهذا لا تقبل فيما يندرئ بالشبهات ، وهذه الحقوق تثبت مع الشبهات ، وعدم قبول الأربع على خلاف القياس كي لا يكثر خروجهن" (٩٦) ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : "لكن قد استقرت الشريعة على أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فالمرأتان في الشهادة كالرجل الواحد ، بل هذا أولى ، فإن حضور النساء عند الرجعة أيسر من حضورهنّ عند كتابة الوثائق والديون التي تكتبها الرجال ، مع أنها إنما تكتب غالباً في مجامع الرجال ، فلأن يسوغ ذلك فيما تشهده النساء كثيراً كالوصية والرجعة أولى" (٩٧) .

كما ثبت أن عمر وعلياً رضي الله عنهما أجازا شهادة النساء مع الرجال في النكاح والفرقة لأنها حجة أصلية ، ولم ينقل أنه أنكر عليها منكر من الصحابة ، فكان إجماعاً منهم على الجواز(٩٨)، والراجح ما ذهب إليه الحنفية ، وهو القول بجواز شهادة الرجل والمرأتين على أحكام الأبدان كالأموال سواء بسواء لقوة أدلتهم وسلامتها مما اعترض به عليها ، ولتحقيق مراد الشارع في الحفاظ على الحقوق وعدم ضياعها ، لأن هذه الأمور كثيراً ما يقع في مجالس النساء وعلى سمعهن وتحت أبصارهن ، وتمارس أمام النساء باستمرار وبكثرة... (٩٩) .

سادساً - شهادة المرأة نصف شهادة الرجل :

إن القاعدة الرئيسية في الشريعة الإسلامية هي المساواة بين جميع البشر في التكاليف والحقوق والواجبات ، فالجميع من معدن واحد ، ومن أصل واحد ، لكن قد يستثنى الرجل ويختص بأمر لا مجال فيه للمرأة وكذا العكس، وذلك لسبب وعلة ليست مكتسبة ولا مصطنعة ، فكذلك قضية الشهادة ، فإن الشريعة الإسلامية قد اعتبرت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل لعلل وحكم دقيقة قد لا يدركها عقل الإنسان الضعيف ، ولو توصل إلى بعضها بعد شئ من التفكير والتدبر .

والأصل في هذا قول الرسول ﷺ : "أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل".

وقد أجاد الكلام في بيان حكمة هذا التفريق الدكتور مصطفى السباعي فقال : ومن الواضح أن هذا التفاوت هنا لا علاقة له بالإنسانية ولا بالكرامة ولا بالأهلية ، فما دامت المرأة إنساناً كالرجل ، كريمة كالرجل ، ذات أهمية كاملة ، لتحمل الالتزامات المالية كالرجل ، لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن كرامة المرأة واعتبارها واحترامها ، وإذا لاحظنا أن الإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية يعتبر رسالتها الاجتماعية هي التوفر على شئون الأسرة ، وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأوقات - وخاصة أوقات البيع والشراء - أدركنا أن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً ، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكرة حين مشاهدته ، فإنها تمر به عابرة لا تلقى به بالاً ، فإذا جاءت تشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطئها و وهمها ، فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به ، زال احتمال النسيان والخطأ .. ويؤكد مراعاة هذا المعنى في الاحتياط بشهادتها فيما ليس من شأنها أن تحضره غالباً .. فليست المسألة إذاً مسألة إكرام وإهانة وأهلية وعدمها وإنما هي مسألة تثبت في الأحكام ، واحتياط في القضاء بها ، وهذا ما يحرص عليه كل تشريع عادل ، وبهذا نعلم أنه لا معنى للشغب والتشنيع على الإسلام في هذه القضية ، واتخاذها سلاحاً للإدعاء بأنه انتقص المرأة ، وعاملها دون الرجل كرامة ومكانة ، مع أنه أعلن إكرامها ومساواتها بالرجل في ذلك بنصوص صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض (١٠٠) .

[للحديث صلة]

الهوامش :

(٥٧) سورة النساء ، الآية : ١١ .

(٥٨) سورة النساء ، الآية : ٧ .

(٥٩) في ظلال القرآن - للسيد قطب الشهيد رحمه الله : ٥٨٨/١ .

(٦٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم : ٢٦٢/٤ .

(٦١) صحيح البخاري برقم/٦٧٣٧ ، وصحيح مسلم برقم/١٦١٥ : ٥٩/٦ مع النووي .

(٦٢) سورة النساء ، الآية : ٢٤ .

(٦٣) سورة النساء ، الآية : ٢٥ .

(٦٤) سورة النساء ، الآية : ٤ .

(٦٥) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

(٦٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣ .

(٦٧) كتاب أحكام القرآن - للجصاص : ٤٠٤/١ .

(٦٨) قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء : ص/٤٠ .

(٦٩) الإجماع - للإمام ابن المنذر : ص/١٥٢ .

(٧٠) سورة الطلاق ، الآية : ٧ .

(٧١) في ظلال القرآن - للسيد قطب الشهيد رحمه الله : ٥٩١/١ .

(٧٢) في ظلال القرآن - للسيد قطب الشهيد رحمه الله بتصرف واختصار: ٦٤٤/٢ .

(٧٣-٧٤) المرأة بين الفقه والقانون - للدكتور مصطفى السباعي : ص/٣٦ .

(٧٥) وسائل الإثبات - للدكتور محمد الزحيلي : ١٢٠/١ .

(٧٦) سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .

(٧٧) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

(٧٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٧٩) الطرق الحكمية - للإمام ابن القيم رحمه الله : ص/١٠٩ .

(٨٠) الهداية مع فتح القدير - للمرغيناني : ٣٤٦/٧ .

(٨١) يراجع في هذا الموضوع : بدائع الصنائع - للكاساني : ٢٨٧/٦ ، مختصر الإمام الطحاوي : ص/٢٢٠ ، تبصرة الحكام : ٢٣٥/١ ، المجموع شرح المهذب - للنووي : ١٢٢/٢٠ ، المغني - للإمام ابن قدامة : ١٥٥/٩ .

(٨٢) سورة النساء ، الآية: ١٥ .

(٨٣) سورة النور ، الآية : ١٣ .

(٨٤) المغني -لابن قدامة : ١٤٨/٩.

(٨٥) المحلي -للإمام ابن حزم رحمه الله : ٣٩٦/٩ .

(٨٦) مقطوع ، قال الزيلعي ما ملخصه : رواه ابن أبي شيبة : ٧٩/١١ ، عن الزهري فذكره وأخرج أيضاً عن الشعبي والنخعي والحسن والضحاك ، قالوا : لا تجوز شهادة النساء في الحدود ، وأخرجه عبد الرزاق بسنده عن علي ، قال : لا تجوز شهادة النساء في الحدود والدماء ، وهذا الأخير فيه الحسن بن عمارة ، متروك ، والصواب كونه عن الزهري وغيره من التابعين ، وهو مقطوع ، لأنه قول التابعي كما هو مقرر في كتب المصطلح ، لكن له حكم الرفع عند أكثر علماء هذا الفن ، والله أعلم (هامش فتح القدير : ٣٤٣/٧) .

(٨٧-٨٨) شرح فتح القدير -لابن الهمام : ٣٤٤/٧ .

(٨٩) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ .

(٩٠) فتح القدير بشرح الهداية -لابن الهمام : ٣٤٤/٧ .

(٩١) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .

(٩٢) انظر للتفصيل : أحكام القرآن -للإمام ابن العربي ، المجلد الثاني : ص/٧١٤، الجامع لأحكام القرآن -للإمام القرطبي : ١٥٩/٨ .

(٩٣) وسائل الإثبات -للدكتور محمد الزحيلي : ١٧٣/١ .

(٩٤) صحيح البخاري مع الفتح : ٤٢١/١ ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٦٥/٢ .

(٩٥) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية : ١٧٧/١ .

(٩٦) الهداية مع فتح القدير : ٣٤٥/٧ .

(٩٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين -للإمام ابن القيم : ٩٣/١ .

(٩٨) بدائع الصنائع -للكاساني : ٢٨٠/٦ ، تبيين الحقائق : ٢٠٩/٤ .

(٩٩) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية : ١٧٩/١ .

(١٠٠) المرأة بين الفقه والقانون باختصار وتصرف : ص/٣١-٣٣ .

إلى رحمة الله تعالى:

أمير الشريعة فضيلة الشيخ عبد الرحمن

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ)

استأثرت رحمة الله تعالى بالعالم الرباني فضيلة الشيخ عبد الرحمن ، أمير الشريعة لولايتي بيهار و أريسه (في الهند) في ٢٩/من شهر سيتمبر ١٩٩٨م (الموافق السادس من شهر جمادى الأخرى ١٤١٩هـ) بعد ما ظل طريح الفراش إلى مدة لا بأس بها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد رحمه الله قد تولى منصب أمير الشريعة بعد وفاة العالم الجليل فضيلة الشيخ السيد منة الله الرحماني (رحمه الله تعالى) منذ سنوات عديدة ، وباشر هذه المسئولية بغاية من الدقة والإخلاص ، كان مقبولاً في الأوساط العلمية والدينية والجماهيرية على السواء ، أكرمه الله سبحانه وتعالى بقلب مؤمن ، ونظرة ثاقبة واطلاع واسع على الأمور ، ولذلك كان موضع ثقة وحبّ الناس في كل مكان ، فقد قضى حياته كلها في الورع والطاعة ، واتباع السنة والتزكية ، والاشتغال بالدعوة إلى الله ، وإصلاح المجتمع ، ودعوة الناس إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على جميع الشئون الاجتماعية والعائلية .

عاش الفقيد رحمه الله حياة زهد وقناعة وعلم ودين وطاعة وعبادة ، وشغل في الأخير هذا المنصب الديني الجليل ، فأفاد المجتمع المسلم بتوجيهاته ونشاطاته في مجال التربية وإثارة الوعي الديني على جميع المستويات .

لقد كان نائبه فضيلة الشيخ السيد نظام الدين ، الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، وهو الذي صلّى عليه في حشد كبير من العلماء ، والجماهير المسلمة ، وقد حزن الناس على هذا المصاب ، والتجأوا إلى الله سبحانه يدعون له بالرحمة و المغفرة ، و يرجون له ثواباً من عند الله في الجنة والنعيم .

كانت وفاته خسارة كبيرة للعلم والدين والإخلاص ، وحدث بها فراغ في أوساط العلمه والفقهه والمربين ، والمأمول من رحمته تبارك وتعالى أن يسده بمن هو أهل له ، فما ذلك على الله بعزيز .

تغمده اللّه تعالى برحمته وأكرم نزله في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وألهم أهله وذويه والمسلمين الصبر والسلوان .

الطبيب الشهير الشيخ محمد إفهام اللّه

في ذمة الله تعالى

الطبيب الشهير الشيخ محمد إفهام اللّه انتقل إلى رحمة اللّه تعالى في السادس من شهر أغسطس ١٩٩٨م (المصادف ١٣/من شهر جمادى الأولى ١٤١٩هـ بعد ما عاش هموم الناس ، وقام بمعالجة المرضى ، وعكف مهنة الطبابة بإخلاص واحتساب ، وسبب الشفاء لكثير ممن أصيبوا بالداء العضال ، وقطعوا الرجاء من البرء والشفاء فكان مرجع الناس ومعقد آمالهم في هذا المجال ، وقد رزقه اللّه تعالى من العمر ٩١/سنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لم يكن الراحل الكريم أشهر طبيب فحسبُ يعالج بالطب العربي ، ولكنه كان من أهل العلم ، ويجالس العلماء ويحبهم ويستفيد منهم ، وكانت علاقته بندوة العلماء وسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي قديمة وعريقة ، فكان عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، يحضر جلساته ويهتم بشئونها .

شغل المرحوم منصب عميد كلية الطب العربي بجامعة عليكره الإسلامية إلى مدة ، ولكنه اشتغل بالطبابة في وطنه "انهونه" بمديرية رائ بريلي (الهند) وأصبح مرجع الناس في معالجة الأمراض ، فكانوا يأتون إليه من أنحاء بعيدة ، بل يؤمونه من جميع أنحاء البلاد .

كان الفقيد يتميز بروح الإخلاص و الورع ، و عواطف الخدمة من غير

طمع في مال أو أجرة ، وكانت علاقته بعلماء الأمة الربانيين ، وأهل العلم والتربية وبمراكز العلم والدين ، وطيدة مخلصة ، يعتني بالأوضاع التي يعيشها المسلمون في العالم كله ، ويشاركهم في قضاياهم وأحداثهم .

لقد خلف الطبيب محمد إفهام اللّه وراءه أنجالاً كراماً يمارسون مهنته ، ويسيرون على دربه ، ويهتمون بعلاج المرضى كما كان أبوهم يهتم بهم رجاء الأجر والمثوبة من اللّه تعالى .

رحمه اللّه رحمةً واسعةً وأغدق عليه شآبيب الرحمة والمغفرة ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

الطبيب البارع الأستاذ صابر رضاء

في ذمة الله تعالى

في اليوم ١٩/من شهر أكتوبر ١٩٩٨م (٢٧/من شهر جمادى الأخرى ١٤١٩هـ) توفي الطبيب البارع الأستاذ صابر رضاء عن عمر يناهز ٧٥/عاماً ، في موطنه مدينة لكناؤ حدث كان يمارس مهنة العلاج بالطب العربي ، وكان قد بلغ في هذه المهنة قمة الشهرة ، كان الناس يقصدونه للعلاج من مدن بعيدة من أنحاء الهند ، وحتى من خارج الهند كذلك ، وقد رزقه اللّه تعالى القبول ، فكان المرضى اليائسون يبرأون بعلاجه ، ويشفون من الأمراض المعقدة .

كانت علاقته بسماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مخلصة ، فكان يعتني بمعالجة المرضى من طلاب العلم ومدرسي العلوم الإسلامية في المدارس ، دون أن يأخذ منهم أجرة ، وطالما كان يقدم إليهم العلاج من غير ثمن ، وقد اختير عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء أخيراً ، وحضر بعض جلساته .

كان مثالاً في الخدمة والمعالجة ، والعطف على المرضى والإخلاص لهم في جميع مراحل العلاج ، عاش مبجلاً مكرماً ذا سمعة جميلة وشهرة طيبة بين الناس جميعاً .

تقبل اللّه منه خدماته في دنياه ويجزل مثوبته في الآخرة ، بالرحمة والمغفرة وأحسن الجزاء ، وألهم أهله وأصحابه وأولاده الصبر الجميل .

الطبيب النطاسي الكبير الأستاذ محمد سعيد

في ذمة الله تعالى

الطبيب البارع الأستاذ محمد سعيد، صاحب مصانع "همدرد" لصناعة الأدوية في كراتشي باكستان، من الشخصيات الكبيرة التي عرفها العالم من خلال نشاطاتها وأعمالها الدينية والعلمية والاجتماعية، لقد كان له وزن كبير، وأهمية عظيمة في جميع الأوساط في الهند وباكستان، كان من رواد العلاج بالطب العربي ومن كبار المنتصرين لهذا الطب، توفر على هذا العلاج بالطريقة الحديثة، فكان يشرف على صناعة الأدوية بأجزاء من العقاقير وأنواع من النبات والأشجار، إنه بعث الطب العربي من جديد، وأثبت أنه الطريق الطبيعي للعلاج وإلى ذلك يوحى الطب النبوي الذي وجّه إليه النبي الكريم ﷺ.

ورغم أن الطبيب محمد سعيد لم يكن له علاقة بالسياسة ولا كان له همٌ بالأحداث السياسية التي أصبح علامة بارزة في باكستان اليوم، وكان يتمتع بقبول عام بين الجماهير وباحترام في الأوساط السياسية والاجتماعية كلها، ولكنه وقع فريسة الاغتيال في عيادته الصباحية، و وقع شهيداً على أيدي جناة لم يُعرفوا إلى الآن، في ١٨/أكتوبر ١٩٩٨م، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان اغتياله نتيجة للفوضى المتفاقمة في باكستان التي لم تتمكن الحكومة من التغلب عليها، ومن ثم فإن الأرواح والأموال والأعراض كلها معرضة للخطر والإرهاب في كل حين، و ليس هناك أي شخص مهما كان في صيانة وسلامة تامة.

للطبيب الراحل مآثر كثيرة في باكستان في مجال الطب و العلاج، إنه رفض أكبر منصب في الحكومة لكي يتوفر على خدمة البلاد من الناحية الطبية، فقد أنشأ مؤسسة طبية مثالية كبيرة باسم: (مدينة الحكمة)، و رفع بها مكانة هذا البلد المسلم بين البلدان الأخرى، ولذلك كان يُعد في جيل مؤسسي باكستان و بُناة مجدها، رحمه الله رحمةً واسعةً، و غفر له زلاته، و أسكنه فسيح جناته، و أكرمه مع الشهداء و الصالحين، و حسن أولئك رفيقاً.

☆☆☆

أخبار اجتماعية وثقافية:

الأستاذ السيد ضياء الحسن الندوي

ينال جائزة تقديرية من رئيس الجمهورية الهندية

قلم التحرير

بمناسبة ذكرى استقلال الهند الحادية والخمسين عام ١٩٩٨م منح فخامة رئيس الجمهورية الهندية (ر. ك. نراينين)، جائزة تقديرية لأخينا وزميلنا الأستاذ السيد ضياء الحسن الندوي، رئيس القسم العربي بالجامعة الملية الإسلامية في دهلي الهند، وذلك اعترافاً بخدماته في مجال اللغة العربية والأدب العربي.

والسيد ضياء الحسن من أبناء ندوة العلماء البارعين ممن أحرزوا قصب السبق في المضمار العلمي والأدبي، وضربوا مثالاً رائعاً في تعليم اللغة العربية وآدابها وتوسعة نطاقها في هذه البلاد، فهو من الأساتذة البارعين الذين يتقنون اللغة العربية واللغة الإنجليزية، ويقدرون على الترجمتين بمهارة فائقة، وله إسهامات وجيهة في الندوات العلمية والأدبية التي تعقد على المستوى الجامعي والعلمي في طول البلاد وعرضها، كما أنه عضو عامل في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي يحضر في ندواتها ومؤتمراتها في الهند وخارجها على السواء، وهو عضو بارز في إدارة مجلة الرابطة الفصلية التي تصدر باللغة الأردية من مكتب شبه القارة الهندية برئاسة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي، نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب شبه القارة الهندية.

تهانينا القلبية إلى أخينا الفاضل الأستاذ السيد ضياء الحسن الندوي على هذه التكرمة العلمية التي نالها من رئيس الجمهورية الهندية.

إصدارات حديثة:

الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها

هذا الكتاب القيم ألفه الأخ الفاضل الدكتور أيوب تاج الدين الندوي كرسالة للدكتوراة، قدمها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية وأحرز بها شهادة الدكتوراة.

والكتاب يستوعب تاريخ الصحافة العربية في الهند وتطورها، ابتداءً من فتراتها الأولى إلى الفترة الأخيرة، وهو يحتوي على خمسة أبواب، وكل باب يشتمل على تاريخ مفصل لما يتعلق بالموضوع، من دخول اللغة العربية إلى الهند

واعتناه المسلمين بها تعليماً وقراءةً وخطابةً وحواراً إلى كونها لغة المدارس والجامعات الإسلامية، ونشؤ صحافة عربية راقية في هذه البلاد، ثم تطورها إلى أرقى المستويات الصحافية.

يتميز الكتاب بالاحتواء الكامل لتاريخ الصحافة العربية في هذه البلاد، وبيان مذاهبها ومراكزها، وروادها في العصر الحديث الذين مثلوا دوراً طليعياً في مجال الصحافة العربية المتطورة، وقد أحصى المؤلف المجلات والجرائد وجميع الإصدارات الصحفية التي ظهرت إلى الآن في ميدان الصحافة العربية المتطورة وتحدث عن تاريخها وأصحابها ومنشئيها.

من هنا جاء هذا الكتاب كوثيقة تاريخية وعلمية في موضوع الصحافة العربية في هذه البلاد، من عصورها القديمة إلى العصر الحديث.

الإنسان و فطرة الله

صدر هذا الكتاب القيم بقلم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الوهاب زاهد الندوي، عميد كلية الدراسات الإسلامية العليا في الجامعة الفاروقية بمدينة كراتشي (باكستان) سابقاً، والمفتي العام في مدينة جنجو (كوريا).

إن هذا الكتاب يكشف عن حقيقة كبيرة، هي صلة الإنسان بالله تبارك وتعالى مستضيئاً بكتاب الله و سنة رسوله ﷺ، و مسترشداً بالعقل و المنطق السليم ومستعيناً بالله سبحانه للوصول إلى الحق.

إنه يتحدث عن فطرة الله التي فطر الإنسان عليها، فأكرمه بالقلب والعقل وبالروح والمادة وبالجمع بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، وأكرمه بالإيمان واليقين لكي يتمكن من معرفة الغاية التي خُلق من أجلها، ويتصل بالرب تبارك وتعالى في جميع أعماله ونشاطاته ابتغاءَ وجهه في كل ما يباشره من عمل ونشاط، وإلى هذه الغاية الحقيقية، أشار الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق * وما أريد منهم أن يطعمون * إن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين ﴾، هذه هي الغاية الحقيقية التي تحدث عنها المؤلف بتفصيل في هذا الكتاب القيم مويدة بالدليل والمنطق ومدعمة بالبراهين والحجج.

[تقبل الله عمله مشكوراً]